IJA # 46

دراسات: نشرة شهرية تحليلية خاصة بالمشتركين تصدر ها الدار العربية لنشر و الترجمة تعنى بالشئون الاسرائيلية و الصهيونية من كافة الجوانب

Darāsāt: Nasharah Shahrīah Taḥlīlīah Ḥāṣah bil-Mashtarkīn Taṣaddarhā Dār al-‘Arabīyya lil-Darāsāt wa al-Nashr wa al-Tarjamah ta’anā Bil-sh’ūn al-Isrā’īlīyah wa-al-Ṣihyūnīyah min kāfah al-Jawānib

Rabī’a, Ḥāmid, Ḥāzim Ḥasan Al-‘Alī, & Ḥalmī ‘Abdulkarīm Al-Za’bī

Egypt, 1988

الدار العربية للنشر والترجمة

دراسات

نشرة شهرية تحليلية خاصة بالمشتركين تصدرها الدار العربية للنشر والترجمة
تعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية من كافة الجوانب

كلمة العدد :

يصدر العدد الجديد من نشرة الدراسات التحليلية وهو يحتوى على دراستين رئيسيتين هما :

- دراسة عن "الامن القومي" للكيان الاسرائيلي في التسعينات .
- دراسة عن المخابرات العسكرية في الكيان الاسرائيلي ، نشأتها ، هيكلها ونشاطها واخفاقاتها .

كما يحتوى هذا العدد على تقرير حول تطورات الخارطة السياسية عشية الانتخابات في الكيان الاسرائيلي . ثم شخصية صهيونية تحت المجهر حيث وقع الاختيار على احد ابرز علماء الفضاء الصهاينة .

ويسر الدار العربية ان تدعو جميع المشتركين الافاضل لتزويدها بارائهم وتقييماتهم ، حول مستوى النشرة والمواضيع التي تنشرها ليتسنى لها تلافي اى قصور وسد اية ثغرات ومن اجل تقديم الافضل على صعيد الابحاث والتقارير والمواد الاخ .

الدار العربية للنشر والترجمة

عدد رقم : (١٤)

التاريخ / تشرين الاول

الدار العربية للنشر والترجمة

نشرة تحليلية شهرية محدودة توزع على المشتركين مقابل الاشتراك السنوي

دراسات

دراســـات :

دورية شهرية خاصة بالمشتركين تحلل الاحداث على الساحتين الصهيونية والاسرائيلين بابعادها الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والسياسية والفكرية من منطلق البحث العلمي الموضوعي . وتعتمد في هذا التحليل على استقراء المصادر الاسرائيلية والصهيونية والاجنبية باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية .

وصدر عن الدار العربية تقرير شهرى مترجم هو التقرير العسكرى والعلمي والتكنولوجي .

وتبلغ قيمة الاشتراك السنوى في هذا التقرير (٥٠٠) دولارا امريكي .

الاشتراك السنوى (بما فيه اجور البريد)

١ـ جمهورية مصر العربية ٦٠٠ ج . م
٢ـ الاقطار العربية ٦٠٠ دولار امريكي
٣ـ بقية الاقطار ٧٠٠ دولار امريكي

E . R. A : 60D P. EG .
Arab Cuntries 600 US $
All Other Cuntries 700 US $

الدار العربية للنشر والترجمة
٥ ش احمد عرابي ـ المهندسين
الجيزة / جمهورية مصر العربية

محدودة التوزيع وخاصة بالمشتركين

المحتويـــات

التسلسل	الموضـــوع	الباحث	الصفحة
١	نظرية الامن " القومي " الاسرائيلي في التسعينات	د . حامد ربيع	٥
٢	اجهزة مخابرات الكيان الاسرائيلي	اللواء الركن حازم حسن العلي	٤١
٣	تطورات ومستجدات مع اقتراب الانتخابات داخل الكيان الاسرائيلي	حلمي عبد الكريم الزعبي	٧٤
٤	شخصية صهيونية تحت المجهر	ـ	٧٩

* جميع الاراء الواردة تمثل وجهة نظر الباحثين وليس بالضرورة وجهة نظر الدار .
* لا يجوز النقل او الاقتباس الا بعد موافقة تحريرية مسبقة من الدار .

بحوث ودراسات

نظرية الامن "القومي" الاسرائيلي في التسعينات

١. خصائص مفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي وتطوراته المختلفة : مقدمة وايضاح

مجموعة من الحقائق برزت ساطعة خلال الاعوام الخمسة الماضية في صياغة مفهوم الامن القومي في التعابير والادراك الاسرائيلي . فمنذ غزو لبنان والاحداث المتعاقبة توكد كيف ان طبيعة مفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي ذاته يخضع لمعادلة حقيقية . ان المفهوم يعاني من ازمة حقيقية بل وهي اكثر عمقا " مما يتصور المحلل الذى يكتفي من التحليل باطاره الخارجي . واخطر ما تعاني منه التقاليد الصهيونية بذلك الخصوص هو ان النظرة الى ذلك المفهوم وللمرة الاولى في تاريخ اسرائيل تخالف في صورة صارخة كل ما تعودناه حول ذلك المفهوم .

لقد عودتنا اسرائيل حتى الامس القريب ان مفهومها للامن "القومي" واحد ، مبادؤه صريحة وقاطعة ، الاهداف ليست فقط مقننة بل وهي مرتبة ترتيبا " تصاعديا " لايسمح باى خلاف ولايقبل اى مناقشة . ولكننا نشاهد اليوم نموذجا " مختلفا " . فهل هذا قوة او ضعف ؟ وهل هذا الخلاف تعبير عن الديموقراطية ام شاهد على عدم التماسك ؟

ولكن هذه اسئلة يجب ان نصوغ الاجابة عليها في نهاية هذا التحليل .

قبل ان نتعرض لتحليل جزئيات هذا الموضوع الشائك علينا ان نتذكر مجموعة من الحقائق (الاولى) وترتبط بقوة مفهوم الامن "القومي" في التاريخ السياسي للكيان الاسرائيلي (الثاني) حقيقة التطور العام لاسرائيل خلال الفترة الممتدة منذ عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٨ اى خلال الخمسة عشر عاما التي بدأت بحرب تشرين (اكتوبر) (الثالثة) المصادر المتوفرة بخصوص تحليل التطورات المعاصرة في مفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي .

دكتور / حامد عبد الله ربيع

١) مفهوم الامن القومي في التاريخ السياسي لاسرائيل بصفة خاصة حتى الماضي القريب تميزت من خصائص خمس :

١) ثبات المبادئ
٢) مرونة التطبيق
٣) وضوح الاهداف
٤) الاجماع القومي حول العناصر
٥) الترتيب التصاعدي للقواعد

هكذا كان الامن "القومي" في تقاليد اسرائيل منذ وجودها ومنذ صاغها رئيس وزرائها الاول دافيد بن جوريون . فالمبادئ ثابتة لاموضع بخصوصها لاي غموض بحيث انها لاتقبل اي مناقشة . وهي تدور حول ثلاثة مبادئ اساسية :

الاول وهو عدم قبول اي اتفاق عسكري بين دولتين او اكثر من الدول المحيطة باسرائيل يتضمن او يفترض نوعا " من التعاون والتنسيق الحقيقي . والثاني رفض اي محاولة لاقفال مضيق تيران . والثالث ويعني رفض اي تواجد عسكري فاعل من الجانب المصري في شبه جزيرة سيناء .

هذه المبادئ الثلاث تعني بمثابة قواعد مطلقة للتعامل والخروج على اي منها يعني الحرب الخاطفة المجهضة . تطبيق هذه المبادئ رغم ذلك يخضع لمرونة معينة . ولعل نموذج واحد يكشف عن هذه الناحية عندما نقارن بين الواقع الاسرائيلي قبل حرب عام ١٩٦٧ ثم هذا الواقع عقب انتصارات تلك الحرب حيث اتسعت الحدود الاسرائيلية واضحت اسرائيل تملك عمقا " استراتيجيا " معينا " يسمح لها بحرية معينة في الحركة ومن ثم في التعامل مع الموقف . كذلك فان الاهداف واضحة وهي ترتب نتائج معينة .

الاهداف تدور حول امرين / الحرب ان حدثت فيجب ان يكون زمام المبادرة فيها دائما في اليد الاسرائيلية . والامر الثاني ان المعركة يجب ان تدور في ارض العرب وليس في ارض اسرائيل حول جميع هذه العناصر هناك اتفاق قومي : بين جميع الاحزاب وبغض النظر عن مواقفها المبدئية ، بين العنصر المدني والعنصر العسكري او المؤسسة العسكرية وبغض النظر عن ذلك الذي يتخذ القرار بالحرب ، بين الاسرائيلي المقيم في ارض اسرائيل " واليهودي الذي يقيم في الديا سبورا والذي هو بدوره مواطن اسرائيلي وبغض النظر عن طبيعة الحرب .

ب) الناحية الثانية التي يجب ان تكون واضحة في الذهن منذ البداية تدور حول حقيقة التطور الذي عاشته اسرائيل وبصفة خاصة في اعقاب حرب ١٩٧٣ . بطبيعة الحال يعنينا من ذلك التطور علاقته بمفهوم الامن القومي . نستطيع بصفة عامة ان نميز بين ثلاثة مراحل ومرحلة رابعة نعيش بداياتها في هذه اللحظة والتي هي موضع تنبؤاتنا في هذه الصفحات .

(المرحلة الاولى) قبل عام ١٩٦٧ حيث الامن "القومي" الاسرائيلي كان امن دولة في حيز التكوين . ومن ثم فهو هجومي استفزازي ، حذر يسوده في حقيقة الامر الخوف وعدم الثقة في الذات . القيادة الاسرائيلية تعلم جيدا " انها لاتستطيع ان تخسر معركة واحدة . وهي في مواجهة خصم تخشاه ولكنها لاتنظر اليه نظرة الاحترام .

(المرحلة الثانية) عقب عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣ . امن اسرائيل هو امن دولة نجحت واستطاعت ان تثبت فاعليتها وقوتها وقدرتها على الفوز على خصومها وتوسيع حدودها . انها تريد ان تستقر ولكن الغرور قد اصابها في مواجهة خصم لم تعد تشعر نحوه باي احترام بل وبكل ازدراء . الحنكة العسكرية التي اثبتها الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة لم ترافقها وتصاحبها حنكة سياسية من جانب القيادة المدنية .

(المرحلة الثالثة) منذ عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٢ . الامن القومي في هذه المرحلة اكثر اعتدالا ولكنه اكثر غموضا . ان الامن القومي لكيان يريد ان يتوسع يعلم ان احداثيات التوسع هو مايسمى باسلوب السلام . استغلت اسرائيل اتفاقيتا كمب ديفيد لتحقيق ماكانت تتصوره في جميع حروبها السابقة . لقد ظلت تتحاشى دخول اي عاصمة عربية حتى جاءت عملية السلام مع مصر فكانت نتيجتها المباشرة الاولى والبعيدة هي غزو لبنان .

عقب حرب لبنان وخلال الخمسة اعوام التالية والتي تنتهي باللحظة التي ندون فيها هذه الملاحظات بدأت تظهر عناصر التفسخ في مفهوم الامن القومي الاسرائيلي . هي عناصر قد تبدو لاول وهلة غير واضحة ولكنها ازاء التحليل الدقيق تبرز ظاهرة للعيان . ولعل التحليل الحقيقي للاطار الفكري الذي منه وبه تحدد المفهوم الاسرائيلي للامن هو الذي يفصح عن حقيقة هذه التناقضات . ولكن منذ البداية ان نلاحظ كيف ان مفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي ظل دائما بغض النظر عن المستويات هجوم تسيطر عليه الابعاد العسكرية ويستند الى فكرة التفوق في القدرة القتالية حيث القناعة بان اليد حتى التي تجرؤ على ان تفكر في المساس بالسطوة الاسرائيلية يجب ان تقطع قبل ان تتحرك بينما المصلحة الحقيقية لاسرائيل هو ان تقيم وتؤسس وجودها على التعايش والتعامل السلمي لكن ذلك ليس طبيعتها ولاينسجم مع اهدافها ان كثرة الصدامات وزيادة لغة التشنج العسكري والتهديد في الامد البعيد ليس لصالح اسرائيل . فالعالم العربي قد يخسر معركة او معارك ولكنه في المدى البعيد لابد وان يكسب حربه ضد اسرائيل . ان اسرائيل تذكرنا بحرب المانيا ضد اوروبا : مهما تفوقت فمصيرها ان تخسر لاكثر من سبب . هذا التناقض الجوهري لم يبرز في صورة واضحة وشعر به خلال الفترة الاخيرة . وهو تناقض اكثر عمقا من مجرد خلاف حول تغليف احدى وجهات النظر . ان تناقض حول ترتيب الاوليات (اولا) ثم حول طبيعة المفهوم الامني (ثانيا) ثم

حول ازمة النظام ذاته (ثالثا) وهو من ثم حول مستقبل التعامل مع المشكلة ذاتها (رابعا) .

قبل ان نتطرق لهذه الخلافات الدقيقة علينا ان نطرح بعض الملاحظات التي تسوقها متابعة الكتابات الحديثة والمعاصرة المرتبطة بموضوع مفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي :

(اول هذه الملاحظات) ان موضوع الامن "القومي" الاسرائيلي بداء يسيطر على المناقشات والحوارات الدائرة حاليا ليس فقط في الاوساط المتخصصة بل انه يثور وبطريقة جادة ومسؤولة ايضا في الاوساط غير المتخصصة . حتى في الصحافة يندر ان نجد يوما يمر دون اثارة بعض المشاكل المرتبطة بالموضوع . واذا كنا في هذه الدراسة قد استطعنا ان نحصر بعض اوجه هذه الصراعات الفكرية فاننا يجب ان نعترف بناحيتين : الاولى وهي اننا تركنا جانبا المناقشات الجماهيرية واقتصرنا على ذلك الجزء من التعامل الذي يثيره المتخصصون . الثانية اننا حتى بالنسبة لهذا الجزء فلانستطيع ان نزعم باننا قد توصلنا الى حصر جميع عناصر النقاش . الكثير من هذه العناصر يحيط بها السرية ولاتستطيع جهود فردية مهما بلغت من الكفاية ان تغطي جميع الابعاد التي تفرضها مثل تلك الموضوعات بما تعنيه من مخاطر حقيقية .

القيادة الاسرائيلية منذ تخلي مناحيم بيجين عن السلطة تعيش ازمة حقيقية . وهي ليست فقط ازمة قيادة انها اكثر من ذلك عمقا : هي ازمة فكرية من جانب نستطيع ان نتلمس بعض مظاهرها فيما يسمى بالصهيونية الجديدة ، وهي ازمة قيادة تدور حول حقيقة العلاقة بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية ثم اخيرا وبصفة خاصة هي ازمة تطور . جميع هذه الازمات لابد وان تعكس نفسها وان تترك اثارها في كل ماله صلة بمشكلة الامن القومي .

(اولا) فلاول مرة يعترف تيار هام في الفكر الاسرائيلي بان اسرائيل مصيرها الاختفاء خلال الزمن اوقصر . كيف نتصور خلال الربع الثاني من القرن القادم غلبية اسرائيل تطالب بتحطيمها وترفض اضفاء صفة الشرعية عليها ويستطيع ذلك الكيان ان يظل ويستمر مستندا الى مايسمى بالرضا الشعبي ولنتصور احتى ان ذلك الواقع لم يتبلور الا في نهاية منتصف القرن القادم ؟ ماذا تعني ستون عاما في تاريخ الشعوب والامم ؟ المشكلة الديموجرافية في حقيقتها قنبلة موقوتة واذا استبعدنا الخيار النووي فان كل ماتستطيعه اسرائيل هو ان : تؤجل انفجارها

(ثانيا) ولاول مرة ايضا يؤمن الفكر الاسرائيلي بان مفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي يتضمن في جوهره تناقضا خطيرا . ان بقاء اسرائيل متوقف على تسوية سلمية تعني سياسة اساسها عملية استيعاب مستمرة في الجسد الاقليمي . والامن الاسرائيلي بمفهومه السائد يقوم على اساس الاستفزازية والعدوانية بل ولاحدود . وهكذا فان هذا التناقض في ذاته يحمل جذور الفناء الاسرائيلي .

ولعل هذا يفسر ايضا الانفصام بين الفكر العسكري الذي لايزال عدوانيا قصير النظر

والفكر السياسي الذي بدأ يتقبل عناصر الواقعية ببعد نظر تفرضه النظرة بعيدة المدى ولكن فلنتابع الموضوع من منطلقاته الحقيقية .

التحولات الفكرية : الوقائع ودلالتها

* * * *

٢) منطقة الشرق الاوسط والتطورات المعاصرة : مصادر التهديد للامن "القومي" الاسرائيلي :ـ

لعل اول تساؤل يتعين على المحلل السياسي ان يطرحه وهو بصدد تقديم تصور مستقبلي لابد وان ينبع من خبرة الاعوام الماضية وابتداء من حرب لبنان : ماذا حدث خلال الاعوام الستة الماضية منذ عام ١٩٨٢ اي منذ غزو لبنان ودخول بيروت حتى اليوم ؟

العديد من الوقائع والاحداث . ولكن اهم تلك العناصر للخبرة والتي سوف تكون لها نتائج خطيرة مستقبلية والتي لابد وان تدخلها النظرة الاستراتيجية الاسرائيلية في بناء نظريتها للتعامل تدور حول عشرة وقائع اساسية :ـ

اولا : بروز ضعف كفاءة العنصر البشري في الجيش الاسرائيلي وبصفة خاصة كما سجلته احداث حرب لبنان .

ثانيا : فشل سياسة السلم مع مصر ثم ماعقب ذلك من احداث انتهت بعودة مصر الى الصف العربي .

ثالثا : صلابة عرب الارض المحتلة بخصوص عملية التهديد حيث ان ارادة التحدي ظلت في ثبات واستمرار وتزايد لتتبلور فيما سمي بثورة الحجارة .

رابعا : تضخم القدرة العربية التسليحية من حيث الكم والنوع ومن حيث العنصر البشري والعنصر التكنولوجي حتى ان مجموع ماتملكه دول المواجهة في الوقت الحاضر يفوق مايملكه حلف الاطلنطي من قدرات وقوات .

خامسا : التطور الواضح في العناصر القيادية العربية : لقد تعلمت كيف تخطط وكيف تتحدى وكيف تقاوم على جميع المستويات .

سادسا : التوجه الثابت نحو التعاون الاقليمي العربي .

سابعا : فشل خطة التفريغ للجسد العربي من عناصر القوة .

ثامنا : تحول الرأي العام الدولي ضد اسرائيل وفي جانب القضية العربية .

متابعة هذه الوقائع المختلفة يفصح بوضوح عن حقيقة الاطار الفكري الذي يستعين على القيام به الاسرائيلية ان تتعامل معه خلال الاعوام القادمة على اننا قبل ان نتعرض لهذه الوقائع يتعين علينا ان نلقي بنظرة سريعة على حقيقة المخاطر التي تهدد الحدود الاسرائيلية من الجانب العربي .

مصادر التهديد للامن الاسرائيلي بالمعنى الضيق اي بالمعنى العسكري ، هي فقط ثلاثة مصادر :

اولا : التهديد اليومي والذى مصدره احداث المقاومة والرفض العنيف سواء كان مصدرها عمليات تسلل من الخارج او عمليات عصيان مدنى من ابناء المنطقة الذين لايزالون يقيمون تحت السلطة الفعلية الاسرائيلية (في اسرائيل ،في الارض المحتلة ،في جنوب لبنان) .

ثانيا : التهديد العسكرى الذى قد يصدر من احد الجيوش العربية المحيطة بالارض التي توصف بانها اسرائيلية .

ثالثا : التطويق العسكرى الذى يعني تجميع جميع دول المواجهة في اطار واحد من التعامل العسكرى والسياسي وهو امر لم يحدث حتى اليوم في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي .

المصدر الاول للتهديد في ذاته لايمثل خطورة حقيقية في هذه المرحلة . المتتبع للوقائع يلحظ انه منذ فرضت على منطقة التحرير الفلسطينية الهجرة من بيروت فان الوقائع محدودة . المبالغة الاسرائيلية مردها الرغبة العاطفية في الاحتفاظ بالضفة وبحق اليهود في الاستقرار فيما يسمونه بيهودا والسامرة اي الضفة الغربية Judee and Samaria بل يصل المحلل العسكرى البريطاني دونكان الى القول بان التخلي عن هذه المنطقة لايمثل اى خطر على وجود الدولة الاسرائيلية .

هذا لايمنع من ان المتتبع ايضا يلحظ ارادة رفض بدأت تتبلور منذ عام ١٩٨٠ وعلى وجه التحديد منذ حادث الاعتداء على رئيس بلدية نابلس ورام الله وقد ظلت هذه الارادة في ثبات تتقدم في موقف العصيان المدني حتى تبلورت في الانتفاضة التي لانزال نعيش في احداثها . ولكن علينا ان نلاحظ بهذا الخصوص امرين (الاول) وهو ان هذه الانتفاضة لاتعني تهديدا في ذاتها للامن القومي وعلى الاخص في المدى المنظور انها تخلق حالة اضطراب وتلحق اضرارا اقتصادية ومعنوية . (الثاني) ان هذه الانتفاضة اظهرت خطورة للكثافة السكانية العربية في الارض المحتلة على الكيان الاسرائيلي .

المصدر الثاني للتهديد : الجيوش العربية المحيطة باسرائيل . ايا من هذه الجيوش لايمثل اى تهديد حقيقي ولعدة اعوام . والبراعة الاسرائيلية تبرز في هذه الحقيقة . فاسرائيل تسعى الى تعطيل اى دور للجيش المصرى في اية مواجهة تقع مستقبلا وتحاول ان تعزله عن بقية الجيوش العربية .

هذا ويجب ان نلاحظ ان الانسحاب الاسرائيلي من سيناء بقدر ماله من عيوب بالنسبة للامن الاسرائيلي بقدر ماله من مزايا . فالجيش المصرى لو اراد ان يهاجم اسرائيل وفي ظل الاتفاقيات الحالية يتعين عليه ان يجتاز هذه المنطقة المنزوعة السلاح عملا والتي تمثل من حيث الواقع منطقة عازلة الامر الذى يعطي للجيش الاسرائيلي فرصة ثمينة للهجوم في خارج ارضه فضلا عن انه يسمح له بتقصير خطوط مواصلاته وذلك اضافة الى ان ارض سيناء مكشوفة تسمح لافقط بالمناورة بل وبسيادة الطيران . بعض الخبراء يعتقد ان الجيش المصرى وهو يحارب على القناة في وضع اكثر صلاحية منه وهو يحارب من حدود سيناء الشرقية . قد يكون في هذا مبالغة ولكنه قول يتضمن قسطا من الحقيقة .

تأتي عقب ذلك في التتابع المكاني السعودية . في الاعوام الاخيرة اثيرت تهديدات عديدة بسبب اتجاه الرياض لشراء صواريخ متوسطة المدى قادرة على ان تصل الى تل ابيب من الصين . وقبل ذلك اثيرت

نفس المشكلة وهي تفاوض الولايات المتحدة بصدد شراء طائرات اواكس . كذلك فان السعودية لم تصطدم على ارض المعركة حتى اليوم باسرائيل . وذلك رغم ان تل ابيب تخطط منذ فترة غير قصيرة لضرب اهداف عسكرية داخل السعودية وخاصة منطقة تايرك . رغم ذلك فالسعودية في الوقت الحاضر في ذاتها لاتمثل اى تهديد للامن الاسرائيلي ، فالطائرات الامريكية التي بيعت الى السعودية صممت بحيث لاتستطيع الاستطلاع للارض الاسرائيلية . والجيش السعودى الذى لم يشترك في اى حرب حتى الان لايزال قاصراً على استيعاب السلاح المتقدم العالي الكفاءة . شرق الاردن يملك جيشا متميزا من حيث التدريب والاعداد ولايوجد مايدعو الى انه قد تغير من حيث مستوى فاعليته وبصفة خاصة من حيث تسليحه . ولكن عدد الجيش الاردني بكل مايملكه من احتياطي لايتجاوز مائة الف جندى وهو رقم لايمثل في ذاته اى تهديد جدى للامن القومي الاسرائيلي . كذلك فان مزايا الاردن الاستراتيجية بسبب الضفة والقدس التي كان الواقع الاقليمي يقدمها قبل حرب عام ١٩٦٧ قد تضاءلت كثيرا . اضف الى ذلك ان الاوراق التي كان يمكن ان يلعب بها في تدعيم موقفه قد تبخرت من يد الاردن تدريجيا : فالمقاومة وبصفة خاصة عقب احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ لم تعد قادرة على التعاون العسكرى الحقيقي مع الاردن . صحيح ان المقاومة ورغم جميع محاولاتها لم تتحول بعد الى جيش حقيقي الا انها تمثل ذلك الكم والكيف القادر على ان يسند الجيش الاردني مساندة فاعلة ،والتعاون مع دمشق بدوره لم يعد امرا يدعو الى كثير من التفاؤل كذلك فان احتمالات اتفاق غير مكتوب بين عمان وتل ابيب ليست موضع الكثير من الشك والخلاصة ان الاردن بدورها تمثل صفراً في تهديد الامن الاسرائيلي .

الحديث عن الاردن يقودنا الى الحديث عن سوريا . وقد اثبتت دمشق خلال فترة الاعوام الستة الماضية انها قادرة على اكتساب المزيد من عناصر القوة . ولنذكر اهم تلك العناصر :-

اولا : التوازن الاستراتيجي في القوة العسكرية مع الجيش الاسرائيلي .

ثانيا : التدخل في لبنان والتحكم في منطقة واسعة من الارض اللبنانية .

ثالثا : الثبات في عملية الرفض في مواجهة التسويات ومايرتبط بها من وضع حد للصراع العربي الاسرائيلي .

هذه العناصر ومع ذلك يجب مناقشتها بعمق وليس فقط من وجهة نظر احادية الجانب فالتوازن الاستراتيجي حقيقة نسبية وهو يعبر عن ازدياد في قوة الجيش السورى ولكن ليس في القدرة على التوازن مع الجيش الاسرائيلي . الجيش السورى دخل لبنان منذ اكثر من عشر سنوات التدخل في لبنان سلاح بحدين : هو تأمين للحدود السورية ولكنه توريط للجيش السورى وخصوصا مع اتساع وطول مدة ذلك التوريط .

ولكي تتحول سوريا الى مصدر تهديد حقيقي للامن القومي الاسرائيلي لابد ان تمتد بها الى دول عربية تشكل عمقا استراتيجيا وبشريا وتعيد رأب الصدع مع المقاومة الفلسطينية .

والخلاصة انه في الوضع الحالي لاتوجد اية قوة عربية تمثل اى تهديد حقيقي للامن القومي الاسرائيلي التهديد الحقيقي للامن القومي الاسرائيلي يأتي/لو استطاعت جميع دول المواجهة ايجاد تنسيق عسكرى في اطار واحد وكذلك التعامل .لنستطيع ان نفهم ذلك وكيف يدخل الفكر الاسرائيلي في حسابه

لابد من ان نتابع بايجاز خبرة الاعوام الستة الماضية ،لقد سبق وذكرنا من اهم الوقائع ذات الدلالة عدة احداث وهي نستطيع ان ندرجها تحت ثلاثة متغيرات اساسية :ـ

الاول : وهو التطور الداخلي في الجسد الاسرائيلي .

الثاني : في مفاجأة المجتمع الجماهيرى العربي الذى احال الضعف الى قوة .

الثالث: في خضوع القيادة العربية لظاهرة التطور وتجاوبها مع الجماهير ومن ثم اكتسابها لصفات جديدة جعلتها اكثر صلاحية لمواجهة الموقف .

نتابع هذه المتغيرات الثلاثة بشيء من التفصيل ومن خلال الوقائع المختلفة التي سبق ورصدناها في كلياتها .

٣) تطور المجتمع الاسرائيلي وخصائص القيادة المعاصرة

اول هذه المتغيرات المجتمع الاسرائيلي .

مما لاشك فيه ان التطور العام للدولة اليهودية يؤكد نجاحها وتفوقها المستمر ولكن هل هذا النجاح مطلق ودون قيود ؟ وهل هذا النجاح لايهلك العديد من عناصر الضعف ؟ وهل لايعكس عيوبا ؟ علماء الاجتماع في اسرائيل يحدثوننا عن " التحول في المجتمع الاسرائيلي " لاخفاء حقيقة هذا التطور وقيوده واذا كان هذا المكان لايسمح بالتفصيل فاننا يجب ان نقف ازاء ظاهرتين بكثير من التأمل : الاولى : التماسك في عناصر المجتمع الاسرائيلي و الثانية : في ظاهرة القيادة والريادة التس تسود المجتمع اليهودى .

منذ البداية يجب ان نلاحظ كيف ان حرب ١٩٦٧ كانت لها نتائج سيئة بقدر ماكان تحقيق وانجاز لايستطيع اى محلل ان يشكك في خطورته بالنسبة للدولة الناشئة فهي اولا الحقت الهزيمة بالدول العربية وهي ثانيا اضافت الى حدودها ضعف مساحتها وهي ثالثا خرجت كقوة مسيطرة في المنطقة يهابها الجميع ويخطب ودها الجميع ولكن هل هذا كل ماكان يجب ان يسعى اليه اى قائد محنك بعيد النظر يحكم اسرائيل ؟

اولا : لقد كانت اسرائيل تعاني من تفكك حقيقي في جسدها بدأت ملامحه تبرز واضحة للعميان في عام ١٩٦٥ وتصير ساطعة مخيفة عام ١٩٦٦ وكان واجب القيادة ان تجعل ذلك النصر وسيلتها للتخلص من تلك الازمات احدى هذه الازمات ظاهرة النزوح التي هي تعبير عن عديد من المشاكل الازمة الثانية الازمة الاقتصادية ازمة ثالثة تدور حول الاخلاق والقيم اليهودية التقليدية ثم ازمة رابعة ترتبط بالصهيونية ذاتها وهل حققت اهدافها وآن الاوان لتصفيتها ام انها لاتزال فاعلة؟

ثانيا : ثم هي لم تضع خطة واضحة للتعامل السلمي لقد اكتفت بالاجابة بلا على كل عرض قدم لها من جانب اولئك الذين كانت تعنيهم مصالحها الحقيقية واولهم جولدمان رئيس الوكالة اليهودية لقد ظن اولئك الذين عاشوا في الذل انهم اضحوا حقيقة اسياد منطقة الشرق الاوسط ونسوا رغم تحذيرات

ديجول ان هذا ضد منطق التاريخ .

انتصار عام ١٩٦٧ اجل هذه الازمات لم تكتشف اسرائيل انها دون قيادات الا في حرب عام ١٩٧٣ عندما ذهبت جولدا مائير تبكي وفكر موشي دايان في الانتحار ورغم ذلك فهم لايزالون بقايا الرعيل الاول .

اين القيادات الكبرى من امثال بن جوريون وزملائه؟ الرعيل الاول وهو يقضي اخر ايام اختفى مع حرب تشرين (اكتوبر) وفي اعقابه ولم يبق منه سوى " مناحيم بيجن " وجاء هذا بدوره لينسحب من الحياة السياسية بصورة درامية تجعل كل متتبع للوقائع والاحداث يشعر انه ليس انسحاب التقاعد ولكنه انسحاب خيبة الامل والشعور بالفشل التام في حياة كاملة المتتبع لتطور الحياة السياسية في اسرائيل منذ عام ١٩٨٠ حتى اليوم يشعر بهذه الحقيقة في شقيها :ـ

اولا : الفشل في بناء الدولة المتماسكة.

ثانيا : الفشل في خلق القيادات الجديدة.

الناحية الاولى واضحة في نتائج حرب لبنان اين اسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ من اسرائيل اثناء وعقب حرب لبنان؟ قبل حرب الايام الستة واسرائيل مهددة بما كانت تعتقد انه وحش رابض على حدودها الجنوبية في مصر متمثل في شخص جمال عبد الناصر صاحب اليد الطويلة التي وصلت الى اليمن وصاحب الهيبة الدولية التي جعلت دول عدم الانحياز تتكتل خلفه وفي عاصمته وصاحب الكلمة المسموعة لافقط في الاتحاد السوفيتي بل وفي نفس الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل وهي دولة مهيمنة على المنطقة عام ١٩٨٢ وقد روضت كل من عاداها ؟ اسرائيل قبل حرب الايام الستة قوة واحدة متماسكة تعمل في قبضة واحدة ولنتذكر خطاب الون قبل شن القتال بيومين وهويتخلى عن وزارة الدفاع لخصمه دايان مطالبا بأن يكون الهدف فقط القتال وبسرعة وتلك في اعقاب مأساة لبنان وكل يلقى على الاخر بالتبعية بين وزير دفاع لايعرف القيم او المسؤولية ورئيس وزراء فقد سيطرته على وزيره ورئيس اركان لايحترم القيادة السياسية ؟

اسرائيل المتماسكة لم تعد متماسكة .

ويرتبط بهذا وينبع منه طبيعة القيادات الجديدة : قيادات هشة لاتفكر الا في نفسها اى انانية لايعنيها من المشروع الصهيوني الا تحقيق اهدافها الذاتية : قدراتها محدودة لا تملك ذلك الايناع الفكرى الذى عرفناه في قيادات الرعيل الاول . هذه الحقيقة اى ضعف الكيان الاسرائيلي في حاجة الى دراسة على حدة من الجانب العربي ولكن الذى يعنينا بصفة خاصة منها هو مايرتبط بالقيادة العسكرية بسبب ضخامة النتائج التي سوف تترتب على ذلك .

قبل ان نستمر في تحليلنا لهذه الناحية يجب ان نتذكر ان القيادة العسكرية تملك بل ويجب ان تملك ثلاثة انواع من القيادات : قيادة استراتيجية وقيادة فنية ثم قيادة ميدانية هذا التعدد يرتبط به تعدد اخر في داخل كل قيادة : فهناك فروع للقيادة تبعا لكل سلاح : السلاح البرى ثم البحرى واخيرا الجوى ويجب ان نضيف اليهم سلاح الدفاع الجوى وهكذا لدينا اثنتا عشرة قيادة الامر الذى

يثير عقب ذلك مشكلة القيادة الادارية والتي تعني التنظيم بين هذه القيادات المختلفة والمتعددة والمتباينة وكلما تضخم الجيش كلما تضخمت المشاكل التي يفرضها هذا التعداد . والتضخم لا يعني فقط ازدياد الكم بل وتعدد مسارح العمليات من جانب وتنوع طبيعة العمليات بين الحرب الشاملة والحرب نصف الشاملة او ما يسمى نصف الحرب والعمليات اليومية المعتادة والتي تدور حول مواجهة عمليات المقاومة رغم محدودية اهميتها .

يمكن القول بصفة عامة بأن الجيش الاسرائيلي برع في جميع هذه القيادات حتى عام ١٩٦٧ ثم بدأ العد التنازلي في القيادة الاستراتيجية عقب حرب ١٩٦٧ حتى حرب عام ١٩٧٣ . في حرب اكتوبر برزت الفاعلية الفنية والقيادة الميدانية في اوجها وعملية الثغرة تعبير عن ذلك . حرب لبنان اثبتت ان القيادة الميدانية بدورها فقدت فاعليتها . ونستطيع ان نجزم بصفة عامة ان الجيش الاسرائيلي اليوم لا يعرف تفوقا حقيقيا الا في القيادات الفنية اى القيادات التكنولوجية التي يستوردها الجيش الاسرائيلي من المهن الاخرى .

حرب لبنان تثبت ذلك .

ولعل خير من حلل حرب لبنان رغم تخصصه في العلوم السياسية " ريشارد جابرييل " وبصفة خاصة لانه يميل بصورة واضحة للدفاع عن اسرائيل الى حد القناعة المرضية .

يصف الكاتب المذكور حرب لبنان بانها جاءت ولاول مرة في تاريخ اسرائيل فاثارت حقيقة العلاقة بين جيش الدفاع والهيكل السياسي للمجتمع الذي يخدمه ذلك الجيش . السؤال الاساس هو هل جيش الدفاع الاسرائيلي يجب ان يستخدم فقط في اطاره التاريخي والاخلاقي كقوة دفاعية عن المجتمع وعن " امن ذلك المجتمع ام انه اداة لتحقيق اهداف محدودة العلاقة بالدفاع عن امن الوطن ؟ " رغم ان صياغة الازمة الحقيقية بهذا الشكل تخفض من حقيقة المتغيرات التي تستر خلفها الا ان هذه الصياغة تفصح بوضوح عن وجود خلاف بين القيادة العسكرية والقيادة السياسية .

فلنبدأ ونتساءل ، وهذا ما يعنينا على وجه الخصوص ، عن حقيقة اخطاء القيادة العسكرية . الخطأ الاول يدور حول اهداف الحرب . الحرب ليست مجرد معركة ينتصر فيها الجيش ، انها حركة تسعى لتحقيق اهداف معينة ابعد من الانتصار في معركة . تحقيق هذه الاهداف هو وحده محور الانتصار . المتتبع لحرب لبنان يلمس منذ البداية كيف ان هذه الاهداف في ذهن القيادة السياسية لم تكن هي الاهداف في ذهن القيادة العسكرية . حتى ان البعض يتساءل وبحق هل اختلفت مع تلك الحرب طبيعة العلاقة بين العنصر المدني والعنصر العسكري في التعامل القيادي الاسرائيلي ؟ الجيش كان دائما وحتى حرب ١٩٧٣ وانطلاقا من المفاهيم التي صاغها بن جوريون يقوم على ثلاثة مبادئ اساسية :

(اولا) الجيش هو اداة الدولة لتنفيذ سياستها .

(ثانيا) انه لذلك يخضع لمراجعة السلطة السياسية القومية .

(ثالثا) وهو لذلك منفصل ومستقل تماما عن النظام الحزبي .

في حرب لبنان هذه النواحي جميعها اختفت بدرجة او باخرى .

على ان اخطر ما يعنينا هو في ادارة الحرب ذاتها الامر الذي يثبت ما سبق وذكرناه . الجيش حارب في عام ١٩٨٢ بخبرة حرب عام ١٩٧٣ . وهنا تبدو بوضوح حقيقة المأساة . انها ابعد من مجرد العلاقات بين العنصر المدني والعنصر العسكري . انها اختفاء للقيادات الاستراتيجية على المستوى العسكري والسياسي . لقد حارب الجيش الاسرائيلي وقد اعاد صياغة عقيدته القتالية على ضوء فشله ونجاحه في سيناء دون ان يدرك ان لبنان ليست سيناء وان الحرب في لبنان ليست تكرارا او نموذجاً للحروب السابقة . انها حرب من نوع جديد لاصلة لها بحروب سابقة الا جزئيا . حرب لبنان تتمثل في نموذجين : حرب جبال وحرب مدن . في حروبه السابقة عرف حرب المدن جزئيا في بورسعيد عام ١٩٥٦ ثم وبصفة خاصة في السويس عام ١٩٧٣ .

وفي كلاهما تلقن دروسا " لم تستطع القيادة الاسرائيلية ان تعي معناها . اما حرب الجبال وهي نموذج للحروب القادمة سواء في لبنان في اجزاء واسعة من سوريا فلم يكن قد قدر الجيش الاسرائيلي ان يتعامل معها .

وهذا تعبير اختفاء القيادة الاستراتيجية والتي برزت واضحة في اكثر من بعد واحد نستطيع ان نذكر اهمها :

(اولا) اختفاء المعلومات والخبرة بخصوص ارض المعركة . وهو اول درس يجب ان يتعلمه القائد الاستراتيجي للتعامل الميداني .

(ثانيا) عملية تشكيل القوات التي لم تكن تتفق مع خصائص الارض التي كان يحارب فوقها الجيش الاسرائيلي . يبرز هذا واضحا في الاهتمام المطلق بالدبابة في ميدان لا تسمح طبيعته بتقدم اكثر من دبابة في وقت واحد مع ما يعنيه ذلك من امكانية اصطيادها بسهولة .

(ثالثا) عدم تدريب المقاتلين على حرب الجبال بما تعنيه من مهارة معينة وعلى حرب المدن بما تفرضه من شجاعة من نوع معين وقدرة على المبادرة الفردية .

(رابعا) الاهتمام المطلق بحياة المقاتلين وهو امر يتنافى بصفة خاصة مع طبيعة حرب المدن .

حرب لبنان ابرزت الترهل في القيادة الاسرائيلية الذي لم يكن قاصرا على القيادة العسكرية بل تعداها ايضا الى القيادة السياسية التي لم تعرف كيف تسيطر على هذه القيادة العسكرية رغم اخطائها .

ولنتذكر بعض الملامح :

١) مركزية القيادة التي اضحت بحيث يتم اتخاذ اى قرار فقط واساسا على اعلى مستوى .

٢) اتجاه القادة لعدم احترام الاوامر القيادية .

٣) سيطرة التفكير التقليدي على القيادات الميدانية .

وهكذا اختفت في حرب لبنان كل ماتعودناه سابقا في جيش اسرائيل من المبادرة والاخذ بزمام الموقف والنبوغ في التصور وسرعة رد الفعل والجراءة في تحمل المسؤولية رغم جميع المخاطر التي يمكن ان تحيط بالقائد الميداني .

هذا الترهل في الجيش الاسرائيلي له مصادر متعددة :

(اولا) الترهل العام في المجتمع الاسرائيلي لابد وان ينعكس نفسه على الجيش والقطاع العسكرى . فالجيش الاسرائيلي هو الامة المحاربة وهو يتضمن جميع قطاعات المجتمع دون استثناء .

(ثانيا) ضعف المتغير الايديولوجي الذى عبر عنه بازمة الصهيونية والذى برز واضح في طبيعة حرب لبنان .

(ثالثا) سيطرة العنصر المهني اى الجندى المهني على القيادات . انه ليس القائد الذى تعودناه / صهيوني متعصب عمل في الحياة السياسية وانتقل ليصير جنديا ونموذجه موشى دايان ولكنه عسكرى منذ نشاءته لم يعرف الحياة السياسية ونموذجه الواضح رؤساء الاركان منذ حرب لبنان حتى اليوم ودون استثناء .

(رابعا) الجندى الذى حارب عام ١٩٨٢ هو جندى مرفه ماديا ومعنويا . ولد في ارض اسرائيل وعاش انتصارات ١٩٦٧ شابا فملاءه الغرور . على عكس جندى حرب ١٩٦٧ الذى جاء من الخارج صبيا مشردا وعاش عشرين عاما وهو يتساءل هل سوف يقدر له ان يكون له وطن حقيقي ام سوف يفرض عليه من جديد ترحال اخر كما عرف اباؤه واجداده ؟ هذا الفارق الزمني الذى لم يتجاوز خمسة عشر عاما هو الفارق بين جيلين ، بين عقليتين ولكن لابد وان يحدث اثاره .

يرتبط بهذا التغيير الداخلي ، نفسخ في المجتمع واختفاء القيادات الكبرى ، متغيران اخرين كلاهما نتيجة وسبب . فالراى العام الدولي من جانب لم يعد ينظر الى الاسرائيلي نفس النظرة التي سيطرت عليه في الاعوام الاولى وحتى عام ١٩٦٧ . اليهودى المتحفز الذى يرفض مصيره من جانب والمؤمن بمثاليات معينة من جانب اخر والذى حفر بفضل دعاية واعية ومخططة خنادق ثابتة من التأييد والاعجاب في الراى العام الاوربي قد اختفى الى غير رجعة . حلت محله صورة اليهودى المنحل الذى لاقيم له ولااخلاق والذى على استعداد لان يستخدم اقذر السلوكيات لتحقيق اهدافه . اليهودى في صابرا وشاتيلا هو اليوم الذى يسيطر على ذهن الراى العام الاوربي . صحيح ان الدعاية العربية لم تعرف كيف تستخدم هذا التحول ولكنه لم يعد من الممكن ان يعود ولو في الامد القريب الراى العام الغربي الى نظرته التي عرفها نحو الاسرائيلي حتى عام ١٩٦٧ . حتى في الولايات المتحدة الامريكية والتي تعلن عن التأييد المطلق لاسرائيل بدأت تصوغ لغتها باعتبارات المصلحة القومية وليس باخلاقيات التعامل مع اليهودى . على ان اخطر النتائج المرتبطة بذلك التطور هو ذلك المتعلق بالسياسة الخارجية سياسة اسرائيل الخارجية حتى بداية الثمانينات كانت سياسة ناجحة . فاذا نظرنا الى الاداء

الخارجي في النصف الثاني من الثمانينات لها لنا الفارق . فهي تقف امام خورباتشوف مكتوفة الايدى رغم ماتتيحه لها سياسته من امكانيات غير محدودة . على ان اخطر مايعنينا هو انها فقدت القدرة على التأثير الحقيقي على دول الجوار الجغرافي للمنطقة العربية .

٤ ــ ميلاد المجتمع الجماهيرى العربي :

في مواجهة الضعف الاسرائيلي قد يبدو غير واضح لاول وهلة نلحظ ازدياد القوة العربية اوان شئنا بعبارة اكثر دقة نلحظ ميلاد قوة عربية لم تتبلور بعد ولكن مظاهر وجودها قد اثبتت انها في طريقها للتبلور . السياسة الخارجية الاسرائيلية خلال السبعينات كان اساسها تفريغ الجسد العربي من جميع عناصر القوة . وهذه العناصر هي ثلاثة :

(اولا) موقف الشارع المصرى المؤيد للانتفاضة والمعادى لاسرائيل .

(ثانيا) وفي الارض المحتلة رغم جميع الصعوبات بل والخيانات برزت واضحة صلابة عرب الارض المحتلة في التصدى لاى محاولة للقضاء على ارادة التحدى .

(ثالثا) تكامل القناعة الجماهيرية بان الصراع مع اسرائيل هو محور نضال الامة العربية .

الامة العربية الجماهيرية قد ولدت . وهي في حاجة الى عنصرين / التنظيم اولا والايديولوجية ثانيا . كلاهما عناصر متوفرة ولكنها غير مكتملة لاتنقصها الا اللمسات الاخيرة . ويوم تكتمل هذه العناصر فان الامة الجماهيرية لن تعترف لابقيادات المجتمع العربي الحالية ولا بالفوارق التي تفصل اجزاء المجتمع . والواقع ان التوجه الثابت نحو التعاون الاقليمي العربي ليس الا نتيجة فرضها ميلاد هذه الامة الجماهيرية . كذلك فان الخبرة التي نعيشها سوف تفرض عليها ان تتحول الى امة مقاتلة .

مشكلة الامن القومي في الفكر السياسي الاسرائيلي

* * * *

٥ ــ تطور مفهوم الأمن "القومي" الاسرائيلي ونظام القيم الجديد :

ليس من تقاليد الفكر الاسرائيلي الفصل بين المفهوم السياسي لمشكلة الامن القومي والمفهوم العسكرى لتلك المشكلة . شارون هو الذى بداء ذلك الفصل . ومنذ ذلك التاريخ اثناء حرب لبنان وهذا الفصل يسيطر على الفكر الاسرائيلي . الفكر السياسي يعيش في واقع يختلف اختلافا كليا وجذريا عن الواقع العسكرى . الاول يقدم نظرة كلية شاملة حيث توظيف اسرائيل خلال

الفترة القادمة هو المتغير الحقيقي . الثاني يصطبغ بالنظرة الميدانية : كيف يحافظ على تفوقه على العالم العربي ؟ هذا الخلاف رغم ذلك يمكن دمج النظريتين في اطار واحد من الادراك والتصور . ولكن حتى كتابة هذه السطور لم يوجد ذلك العقل الخلاق الذى استطاع ان يجتاز تلك الهوة .

الم نقل ان اسرائيل تعيش ازمة تطور ؟

مجيء تكتل ليكود الى السلطة يعبر عن انقلاب حقيقي في الاطار الفكرى للتعامل مع الواقع . مما لاشك فيه ان التطور الداخلي في اسرائيل اعد لذلك منذ حرب ١٩٧٣ بل ويمكن القول منذ حرب عام ١٩٦٧ . حرب ١٩٦٧ اخرت التطور العنيف الذى كان يجب ان يحدث وجاءت حرب ١٩٧٣ ففرضت على المجتمع الاسرائيلي ان يتيقظ وجاءت يقظته في شكل انقلاب حقيقي غير معلن انتهى بوصول حزب ليكود الى السلطة . ابرزت حرب ١٩٧٣ انه لاتوجد قيادات وان هناك اختلال في التعامل ومن ثم كان من الطبيعي البحث عن البديل ولم يكن في داخل اسرائيل من بديل الا حزب حيروت باحد القادة التاريخيين وهو مناحيم بيجين .

هل كان لذلك لصالح اسرائيل ؟

سوف تثبت الايام ان ذلك كان اكبر خطاء وقعت فيه اسرائيل في تاريخها منذ نشاءتها حتى اليوم . ولكن الاحداث هي التي تقول كلمتها فقط . الذى يعنينا ان نؤكد عليه ان مجيء ليكود يعني وصول نظام جديد للقيم واسلوب جديد للتعامل . ان المفهوم الصهيوني الذى ساد خلال قرابة ثلاثين عاما ليس هو المفهوم الذى بداء يطل ويسعى للتغلغل تدريجيا في الادراك والعقل القيادى . هناك عدة متغيرات سهلت ذلك : (المتغير الاول) الازمة التي كان يعيشها الفكر الصهيوني وبصفة خاصة في تقاليده الاشتراكية الحقيقية .

(المتغير الثاني) نشوة النجاح التي اعقبت الثغرة المعروفة في حرب اكتوبر والتي ضخمتها الدعاية الاسرائيلية على انها تعبير عن الجيش الذى لايقهر (المتغير الثالث) الضعف القيادى ويكفي ان نتذكر من هو الذى كان يتزعم حزب العمل . ما بين قائد عسكرى صفحة حياته تحيطها الكثير من عناصر الشك وشيمون بيريس الذى تعود ان يكون الرجل الثاني الناجح ويذكرنا بايدن البريطاني الذى ما ان يدعى لان يؤدى وظيفة الرجل الاول حتى يصيبه التلعثم ويفقد القدرة على التصرف السليم . (المتغير الرابع) بروز اليهود الشرقيين وسطوتهم وبصفة خاصة وهم اقرب الى جيل السابرا الذى اضحى هو وحده الكلمة الاولى والنهائية .

مما لاشك فيه ان هذا المتغير الذى اصاب القيم القومية في التعامل الخارجي في حاجة الى شيء من التحديد . رغم ذلك فعلينا ان نتذكر منذ البداية ان هذا التغير محدود الفاعلية من حيث الاطار الحقيقي للتعامل . (اولا) فكتلة ليكود لم تستطع ان تنفرد بالسلطة الا فترة قصيرة لم تصل الى عشرة اعوام . ويجب ان نعترف بان مشاركة كتلة العمل مع حزب ليكود لابد وان تخفف

من مبالغات اليمين . (ثانيا) مرة اخرى عدم وجود قيادات يقلل من احتمالات السيطرة الفكرية الكاملة وبصفة خاصة وكما سوف نرى تفصيلا فيما بعد ان شارون والذى يملك العصا من وسطها ما بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية رجل اناني لايؤمن الا بنفسه .

(ثالثا) ان مفاهيم ليكود نفسها ليست جديدة وانما هي مفاهيم جابوتنسكي وقد قام مناحيم بيجين باحيائها . وجابوتنسكي بغض النظر عن قدرته الايديولوجية يعود الى فترة سابقة على انشاء اسرائيل ولذلك فان افكاره لاتصلح ولاتتوافق مع الحقيقة الدولية التي تعيشها اسرائيل في نهاية القرن العشرين .

سبب اخر للانفصام بين الفكر السياسي والفكر العسكرى وموضوع الامن القومي .

ماهي افكار جابوتنسكي والتي أُعاد احياءها حزب ليكود لتدخل في تشكيل مفهوم الامن القومي الاسرائيلي وبصفة خاصة في بعده السياسي ؟

دراسة حقيقية لتطور نظام القيم وتاثيره في صنع السياسة الاسرائيلية لاوجود له باللغة العربية ورغم ان الابحاث بهذا الخصوص باللغات الاخرى عديدة لاحصر لها . المكان لايسمح الا بان نطرح الموضوع في ابعاده العامة وفقط من حيث علاقته بمفهوم الامن القومي . اول مايجب ان نلفت اليه النظر ان اسرائيل عرفت بثلاث مراحل بذلك الخصوص . المرحلة الاولى حتى عام ١٩٦٧ عندما كان نظامها للقيم يكاد يعكس مفهوم الاشتراكية الصهيونية . هذا المفهوم لم تكن لمتاثيرات حقيقية في صنع السياسة الخارجية وبالتالي في صياغة مفهوم الامن القومي . القاعدة الاساسية التي وضعها بن جوريون في سياسته الخارجية هي فكرة الواقعية حيث تتحكم في صنع تلك السياسة الظروف التي يفرضها ذلك الواقع . كلمة سياسة الواقعية Realpolitik ليست غريبة على الفقه السياسي بل ان كل من تعرض للسياسة الاوربية خلال القرن الماضي صادف تلك الكلمة تبرز بمناسبة ودون مناسبة . تعرف بانها تلك السياسة التي تسمح بتحقيق نوع من التوازن بين الضرورات الخارجية والحاجات الداخلية لامة معينة . هكذا كانت تسير السياسة الاسرائيلية حيث المحور هو حماية البقاء اليهودى في النطاق الدولي . في اعقاب حرب عام ١٩٦٧ اصاب هذا المفهوم نوع من التصدع . الانتصار الاسرائيلي خلق نوع من الغشاوة فمنع القيادة الاسرائيلية من ان تتلمس حقيقة الواقع الدولي والاقليمي . جاءت حرب ١٩٧٣ فازالت الغشاوة وترسبت القناعة في عدم صلاحية القيادة الامر الذى قدم لمجيء حزب ليكود . خلال هذه الفترة اى منذ عام ١٩٧٧ فان اسرائيل تعيش فترة قلقة ، فترة ضعف حقيقي ، بين تراث لايزال يسيطر على المفاهيم السائدة وادراك بدء يتلصص في التعامل والممارسة . وصول ليكود الى السلطة كان اعلانا بنزول مفاهيم جابوتنسكي الى الميدان .

محور فلسفة جابوتنسكي للتعامل مع السياسة الخارجية هو مفهوم المثالية . هذا المفهوم

الذى يرتبط بالصلابة الايديولوجية والذى يفرض الوضوح العقائدى يقود الى مجموعة من المبـــادىء ميزت فلسفة جابوتنسكي :

(اولا) ان الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع مصيرى بمعنى انه في حقيقته تطبيق لما يسمى في نظرية العلاقات الدولية Z - Sum Game اي ان اللعبة لاتحتمل التوفيق وانما الحصيلة هي مكسب كلي او خسارة كلية .

(ثانيا) ان الاطار الاسلامي الشرقي الذى في داخله يتحدد هذا الصراع يمثل ذاتية متميـــزة ولكنه كان مقنعا بسيادة الحضارة الغربية على الحضارة الاسلامية بل وصل به الامر الى نقد كـــل اتجاه يهودى كان اساسه النظرة الرومانسية الى الحضارة العربية . هذه الحضارة تقع في مرتبة ثانيـة ازاء حضارة العالم الغربي المتقدم .

(ثالثا) كذلك فان الدولة اليهودية او الاستيطان اليهودى في فلسطين هو تعبير واضح عـــن جهد استعمارى اوربي وهو امتداد واتباع لتلك الحضارة بكل مايعنيه ذلك من عناصر .

هذه المفاهيم الثلاثة جاءت مع ليكود . وكانت بدايتها في خلاف نظرى حول الثورة المعروفـة في التاريخ اليهودى القديم باسم " ثورة باركوخبا " والتي انطلقت ضد الرومان وانتهت بتحطيـم المعبد الثاني عام ٧٠ قبل الميلاد . فالعالم المشهور هاركابي نظر الى هذه الثورة على انهـا تعبير عن خطاء في فهم المثالية فسي تطبيق السياسة الخارجية . وتصدى له ممثل الفكـــر الليكودى العالم "الدار " ليؤكد صواب التصرف المنسوب الى القائد اليهودى . بغض النظـــر عن هذا الخلاف النظرى فان هاركابي اراد ان يلفت النظر الى مخاطـر الفلسفة المثالية وتأثرهـا بالنماذج التاريخية ، والدار راح يدافع عن صلابة مفاهيم جابوتنسكي وصواب النظرة الجديدة فـي التعامل مع سياسة اسرائيل الخارجية .

هذه النظرة الجديدة ادت الى بروز مجموعة من المبادىء كان لها اثر واضح في اعادة تشكيـل مفهوم الامن القومي الاسرائيلي في ابعاده السياسيـة :

١) اول هذه المبادىء ان منطقة الشرق الاوسط والعالم العربي بصفة عامة ليسا الا تكوين مصطنـع خلقته الامبريالية العالمية ، وانه غير متجانس .

ب) هذا الواقع يسهل على اسرائيل مشكلة التسرب في داخل منطقة الشرق الاوسط .

جـ) والواقع ان وراء هذه النظرة قناعة بان العالم العربي على استعداد لان يتقبل الوجود الاسرائيلي في المنطقة .

د) وهكذا برز كذلك مفهوم جديد في تاريخ اسرائيل وهو استخدام القوة العسكرية كاداة لتحقيـق اهداف سياسية . ان مفاهيم كلاوزفيتش يجب ان يعاد صياغتها . ومع مجيء مناحيم بيجيـــن برز واضح مفهوم اساسي وهو مفهوم مخالف كليا لمفهوم حزب العمل واساسه ليس فلسفة حمايـة الوضع القائم Status Que وانما تغيير هذا الوضع ولو باستخدام الجيش كاداة تهديد .

وهكذا برزت واضحة ملامح معينة : اجراء اتفاقية سلام مع مصر ، محاولة تقسيم الاقطار الـــى كيانات طائفية وغيرها .

هـ) العلاقة مع الولايات المتحدة ليس اساسها حاجة اسرائيل ولكن محورها هو التحالف بيـــن دولتين على قدم المساواة . التطور نحو التعاون الاستراتيجي ثم التحالف الحقيقي بين تـــل ابيب وواشنطن ثم في اطار هذه القناعة . بل ان المساعدة الامريكية لايجوز ان تستخـــدم كسلاح للضغط على اسرائيل ، انها نفقات لحماية التواجد الامريكي في المنطقة بل ويجـــب ان تدرج في باب النفقات العسكرية وليس المساعدات او المعونات .

و) اسرائيل هي بحكم تواجدها ومستقبلها دولة شرق اوسطية وهي لذلك يجب ان تخطط سياستهـا على اساس ليس فقط انها مسؤولة عن المنطقة بل وهي وحدها صاحبة الحق في التحـــدث باسم المنطقـة .

ز) واخيرا فان النظرة الى الضفة يجب ان تنبع من تلاقي الاعتبارات الامنية بالحقوق التاريخيـة هذه المنطقة جزء من ارض اسرائيل الكبرى وليس هناك موضع للنقاش بخصوص انتمائها .

تنظيم وضع العرب في داخل الارض التي ليست محتلة ولكنها "محررة" مقبول ولكن ليس اكثـــر من ذلك . منذ مجيء ليكود الى الحكم فان نظرته بهذا الخصوص كانت واضحة صريحـة :

قانون القدس عام ١٩٨٠ ، ضم منطقة الجولان في عام ١٩٨٢ ، خطة الاستيطان في القطـاع تم تنفيذها بهدوء وبذكاء يتجه في جوهره الى الاستئصال المعنوى للعنصر العربي بحيث انـه في لحظة معينة يطرح مستقبل المنطقة في استفتاء تحت اشراف المنظمات الدولية بعد ان تكـون السلطات الاسرائيلية قد وثقت من ان النتيجة سوف تكون لصالحها .

بقي التساؤل : اين من هذه السياسة الجديدة الامن القومي الاسرائيلي ؟

وماهي عناصر الامن القومي الاسرائيلـي في بعده السياسي ؟

٦ ــ العناصر السياسية لمفهوم الامن القومي الاسرائيلي : رصد للمبادىء :

لو تركنا جانبا عناصر مفهوم الامن القومي الاسرائيلي في صياغة السياسة ولموقفنا للاحظنـــا منذ البداية الغموض الواضح بل والتناقض الشديد في الفقـه . وبصفة خاصة عقب الانتخابـــات الاخيرة ومجيء نظام سياسي يجمـــع بين ليكود وحزب العمـل .

رغم ذلك فهناك خمسة مفاهيم تتردد بثبات :

(اولا) اول عنصر يبدو واضحا في الكتابات والتعليقات هو ان الجميع يسلم بانه لم يعـــد هناك موضع لقبول اى سلاح عربي في الضفة الغربية او الجولان . ان تظل تابعة وجزءا من اسرائيل او ان تعاد بعض مدنها الى الاردن لايعني ولكنها تظل دائما منزوعة من السلاح العربي . السلاح

الاسرائيلي هو الذى يجب ان يسيطر عليها ويتحكم فيها .

(ثانيا) مايجب ان تكتسبه اسرائيل والقدرة الاسرائيلية هو قبل كل شيء اخر الحرية في الحركة والحركة هنا ليس فقط بمعنى التدفق العسكرى بل والتدخل السياسي والتعامل الدبلوماسي بجميع مستوياته . يجب ان تصير قلب المنطقة والمتحكمة في كل تحرك في داخل منطقة الشرق الاوسط بجميع مداخلها .

(ثالثا) احد الاهداف التي يجب ان تسيطر على القيادة الاسرائيلية هو ان تعمل بجد وثبات على تغيير الاهداف العربية . يجب ان تعيد تشكيل العقل العربي سواء على مستوى القيادة بجميع تطبيقاتها او على مستوى المجتمع الجماهيرى بحيث يحدث ذلك التقارب الذى يضع الاهداف العربية في دائرة المصالح الاسرائيلية .

(رابعا) ان الامن القومي الاسرائيلي لم يعد فقط مشكلة عسكرية بل اضحى البعد الاقتصادى بمختلف جزيئاته يسيطر عليه سيطرة تامة بل اضحت النواحي العسكرية وسيلة ايضا لخدمة الاهداف الاقتصادية .

ماهي عناصر الامن "القومي" الاسرائيلي ؟

لقد سبق ورأينا ان احدى مزايا الامن القومي دقة ووضوح وصرامة مبادئه . وقد كان الامر كذلك حتى عام ١٩٦٧ . ثم مرت مرحلة اضطراب مابين عامي ١٩٦٧ وعام ١٩٧٧ ومابينهما حرب رمضان التي جاءت خلافا للتفسير الشائع لتؤكد مدى صدق النظرة التقليدية لمفهوم الامن القومي الاسرائيلي . ولكن عقب ١٩٧٧ عادت مرة اخرى المفاهيم لتصير واضحة دقيقة صارمة .

ونستطيع ان نحددها حول ستة مبادئ :

(اولا) منع التضامن العربي من ان يحدث اى نوع من انواع التقارب بين دول المشرق العربي .

(ثانيا) اجراء عملية تخريب واسعة النطاق في جميع اجزاء الجسد العربي .

(ثالثا) استخدام اسلوب الايقاع والتفرقة كاداة للارباك وخلق التناقضات .

(رابعا) تدعيم الترابط مع الولايات المتحدة وتحويله الى تحالف استراتيجي .

(خامسا) البحث عن خلفاء جدد في عملية المساندة الدولية .

(سادسا) خلق التحالفات الاقليمية الضاغطة .

هذه المبادئ الستة بعضها غير واضح . كذلك بعضها غير جديد ولكنها لم ترتفع الى مستوى مبادئ الامن القومي الاعقب وصول ليكود الى السلطة . وبعضها يغطي ويخفي مفهوم التعامل الاقتصادى الذى اضحى بدوره محورا اساسا لمفهوم الامن القومي . ولكن ابراز هذه النواحي في حاجة الى شيء من التفصيل .

قبل ان ننطلق في هذه العناصر السبعة للبعد السياسي لمفهوم الامن "القومي" الاسرائيلي علينا ان نتذكر مرة اخرى عنصرا ثابتا في هذا الادراك العام وهو موقع الضفة الغربية من مفهوم

الامن القومي . لقد سبق ورأينا المحللين الاجانب يعتبرون ان احتلال هذه المنطقة ليس ضرورة لحماية الامن "القومي" الاسرائيلي وانها مسالة عاطفية . ولكن على العكس من ذلك نجد جميع الكتابات الصهيونية تؤكد على الفكرة المخالفة . ان هذه المنطقة تمثل عنصرا اساسيا في فاعلية اى تصور للامن "القومي" للكيان الاسرائيلي .

الاسباب التي تجعل من السيطرة الاسرائيلية على تلك المنطقة بغض النظر عن المسميات وبحيث تستطيع الارادة الصهيونية ان تتحكم في جميع المجريات الامنية بل وبحيث تصل الى حد رفض فكرة نزع المنطقة من السلاح تنبع من ستة متغيرات اساسية وهي جميعها لاترتبط بالمفهوم الايديولوجي المتعلق باسرائيل الكبرى وغيره من الادعاءات التي تساق عادة بذلك الخصوص :

(المتغير الاول) ان هذه المنطقة ضرورية لكل ما له صلة بالانذار المبكر لاى هجوم مفاجيء وبصفة خاصة مع الاخذ في الاعتبار :

أ) ان القوات الاردنية اضحت اليوم تملك قدرة هجومية لايجوز ان يستهان بها . وبصفة خاصة وهو يملك قدرة معينة على الدفاع الجوى لم يكن يملكها في اى مرحلة من تاريخه وهي الذريعة الاساسية التي منعته من المشاركة في حرب ١٩٧٣ .

ب) احتمالات اجراء تحسن على شبكة الطرق التي تربط العراق بالاردن والذى يجعل امكانية وصول القوات المدرعة العراقية الى الاردن للمشاركة في هجوم مخترقا منطقة الضفة في اقل من اربعين ساعة .

جـ) مع ملاحظة ان في مثل هذا الهجوم وبصفة خاصة لو ارتبط بهجوم اخر من الشمال عبر سوريا فان القوات الاسرائيلية التي سوف يتعين عليها مواجهة القوات الاردنية هي قوات الاحتياطي الذى في حاجة بدوره الى اربعين ساعة كي يصير فاعلا ومن ثم فانه لن يستطيع التواجد الحقيقي قبل وصول المساندة العراقية .

ولذلك فان التواجد الاسرائيلي في الضفة ضروري لاجراء عملية رصد في النقاط الاستراتيجية تسمح بالانذار المبكر .

(المتغير الثاني) ويرتبط بالمعطيات الجغرافية التي تميز الضفة من حيث علاقتها بالمناطق الحيوية داخل اسرائيل .

١) فالجزء الاوسط من اسرائيل والذى يضم حوالي ٦٧٪ من مجموع السكان في اسرائيل يمتد على منطقة يتراوح عرضها بما لايتجاوز ٣٠ كيلو مترا ممتدة بمحاذاة الضفة الغربية . في حالة الحرب ضرب هذه المنطقة من الضفة الغربية مسالة تصير عادية خصوصا لو وجد سلاح الصواريخ ارض ـ ارض بكثافة معينة .

ب) كذلك فابتداء من هذه الضفة يمكن بخطوة سريعة تحقيق اخطر هدف استراتيجي يمكن

ان يسعى الى تحقيقه العرب وهو شطر اسرائيل الى نصفين . بل ان مثل هذا الهدف قد يكون سببا في اغراء حقيقي لاى قيادة عربية قوية مغامرة تتحكم في تلك المنطقة .

(المتغير الثالث) وهو بدوره يرتبط بالطبيعة الطوبغرافية لمنطقة الضفة . ان هذه المنطقة هي امتداد طبيعي للارض التي تحتلها اسرائيل بحيث انه لاتوجد اى حدود مادية حقيقية بينهما وبين اسرائيل . بينما هي منفصلة جغرافيا عن الاردن . ولذلك فهي خنجر مصوب الى اسرائيل بحيث ان الهجوم منها على اسرائيل سهل وغير مكلف بينما الهجوم من الاردن نفسها اكثر صعوبة الضفة تسيطر على المناطق الساحلية الغربية من اسرائيل ولذلك فان الخط الدفاعي الاسرائيلي على طول نهر الاردن يتطلب قوات اقل للدفاع بينما في الضفة يتطلب قوات اكبر . وبالعكس فان المهاجم من الاراضي الاردنية سيكون في وضع اكثر سوءا مما لو هاجم من الضفة .

والخلاصة ان منطقة الضفة منطقة حيوية للهجوم من جانب الاردن وللدفاع من جانب اسرائيل .

(المتغير الرابع) وهو يبرز في صورة واضحة لو ادخلت في المنطقة الصواريخ ارض ـ ارض وبطبيعة الحال باتجاه اسرائيل . وذلك مع الاخذ في الاعتبار :

١) اطلاق الصواريخ من الضفة اكثر خطورة على اسرائيل من اطلاق المدافع . واذا كانت الاردن لاتملك حاليا صواريخ ارض ـ ارض فان الاحتمال الاكثر توقعا حصولها عليها خلال الاعوام القادمة فضلا عن ان امكانية تقديمها من العراق او مصر او سوريا احتمال قائم .

ب) ان قصر المسافة بين الضفة واسرائيل سوف يسمح للاردن : (اولا) بسهولة الحصول على تلك الصواريخ المتوسطة المدى (ثانيا) وهي سوف تكون صواريخ متحركة الامر الذي يسهل معه ادخالها الى الضفة وبسرعة بل وتنقلها من لحظة لاخرى لاجراء عمليات الاخفاء المطلوبة .

(ثالثا) سوف يرفع نسبة الدقة وهو امر معروف كلما كانت المسافة اقصر كلما كان احتمال الاصابة المحدودة المنضبطة اكثر . (رابعا) استخدام هذه الصواريخ بتوقيت معين سوف يمكن القوى العربية من منع او اعاقة تجنيد القوات الاحتياطية الاسرائيلية .

ج) ضيق المسافة وكثافتها السكانية وتكدس الصناعات الاسرائيلية في المثلث بين حيفا والقدس وتل ابيب يجعل من الصواريخ سلاحا فتاكا ضد اسرائيل ومهددا خطيرا لامنها .

د (المتغير الخامس) كذلك فان الضفة الغربية لو كانت منزوعة السلاح فانها من الممكن ان تضع اسرائيل امام خطر حقيقي بهجوم تستطيع القوات الاردنية ان تشنه عبر الضفة بمساندة القوات العراقية ودون حاجة لان تراجسط بالضفة اية قوات عسكرية اردنية وذلك بشرط ان يملك صواريخ ارض ـ جو متنقلة وبصفة خاصة لو رافق ذلك الهجوم من الجانب الاردني هجوم اخر سوري . ويتصور المخططون العسكريون ذلك الهجوم بالشكل التالي :

١) عملية انزال بطريق الجو من جانب الاردن في الضفة لاغلاق المحاور الطولية من الغرب الى الشرق .

ب) هجمات على المطارات الاسرائيلية لمنع الطائرات المقاتلة من الاقلاع .

ج) استخدام الصواريخ ارض ـ ارض على نطاق واسع بعد ادخالها في الضفة لارباك عملية تجمع قوات الاحتياط الاسرائيلي وتعبئتها .

د) تقدم الفرقتين الاليتين الاردنيتين في المنحدرات الغربية .

هـ) تحرك القوات العراقية للانضمام الى الحرب .

و) استغلال العناصر المدنية العربية في اسرائيل والضفة لعرقلة التحركات الاسرائيلية .

كل هذا لايمكن تحقيقه الا من خلال الضفة ولايستطيع ان يمنع حدوثه الا خضوع الضفة خضوعا كاملا للسيطرة الاسرائيلية . وبصفة خاصة لو وظفت في تلك الحالة كما يحدث حاليا المستوطنات على انها قلاع متقدمة كخط دفاع اول وخط هجوم اخير لصالح اسرائيل .

حول هذه الناحية اى حول موضع الضفة في المفهوم الاسرائيلي للامن القومي ليس هناك موضع للخلاف حتى ان مشروع الون نفسه الذى كان قد طرح في لحظة معينة وقيل ان الحكومة الاسرائيلية قد وافقت عليه لم يعد له موضع في هذه النظرة الجديدة . الضفة بجميع اجزائها جزء لايتجزأ من امن اسرائيل القومي ويبدو ذلك واضحا في مشروع شارون للضفة والذى رغم عنفه وصلابته بدوره اضحى عقب عام ١٩٨٢ اضحى متخلفا الاول الذى وضع في عام ١٩٦٧ لم يعد مقبو وكذلك فان مشروع شارون ورغم انه نشر في عام ١٩٨٠ اضحى بدوره لايعبر عن الفكر الاسرائيلي .

خلاصة هذا الفكر تتمركز حول مبدئين : الضفة هي جدار امني من جانب ، ومن جانب اخر ان فكرة المناطق المنزوعة السلاح لاموضع لتطبيقها بالنسبة للضفة .

نعود الى المبادىء الاخرى بشيء من التفصيل .

٧) منع التضامن العربي ووسائله :

اول هذه المبادىء وهو منع التضامن العربي من ان يحدث اى نوع من انواع التقارب بين دول المشرق العربي .

١) مفهوم تجزئة المنطقة ومنع الارادة العربية من التكامل والتساند ليست جديدة في الفكر الصهيوني وهي منطقية مع سياسة التدخل في العالم العربي . ان الضعف الحقيقي في هذا العالم هو مايعانيه من فرقة حقيقية هذه الفرقة ليست مرتبطة فقط بعدم وضوح التصور لاهداف الحركة بل انها اكثر من ذلك بعدا .

اولا : فالفرقة اولا كانت دائما المنطلق الطبيعي والمنطقي لاى سياسة استعمارية او اجنبية تسعى للتعامل مع المجتمع السياسي ، وتاريخيا قبل فرق تسد على ان هذا المبدأ الذى يستمد مصادره من السياسة الانجلوسكسونية التي صاغته كقاعدة استراتيجية للتعامل يجد صدى عجيبا في تاريخ الوطن العربي .

ثانيا : ثم جاء مبدأ التسامح وزاد من مخاطر هذه الحقيقة فالتسامح هو ميزة للقوى تجعل الضعيف يشعر بكرمه ولكن القوى عندما يضعف يصير هذا التسامح حق وهو دليل الضعف . التسامح الديني ظل دائما احد خصائص الحضارة الاسلامية حتى في ظل الحكم العثماني وعندما ضعفت القوة المركزية

ان مصدرا للتفتيت .

ثالثا : في خلال النصف الاول من القرن الحالي عرف هذا المفهوم باسم بلقنة المنطقة على ان الواقع ان هذه البلقنة لم تكن خطيرة لان الوطن العربي لم يكن يعبر عن حقيقته كقوة دولية . فهو اولا اى الدولة العربية لم تكن سوى فكرة وهي ثانيا تختلط بمفهوم الجامعة الاسلامية وهي ثالثا تقتصر على المشرق العربي ودون مصر . وهي رابعا منطقة محدودة الاهمية فهي لاتملك الثروات الطائلة واهميتها الاستراتيجية محدودة .

رابعا : جاء الاستعمار الصهيوني وورث تقاليد السياسة الانجلوسكسونية وطوعها بما يتفق مع مصالحه . وتطورت هذه المفاهيم مع الهزائم المتتالية العربية ودون دخول في التفاصيل نستطيع ان نلحظ مجموعة من الحقائق :ـ

١) ان اسرائيل فهمت بوضوح ان بقاءها مرهون باستئصال ارادة التحدى العربية لم تكن القيادات الفكرية الصهيونية تتصور العداوة العنيفة المستمرة التي ووجهت بها في المنطقة عقب الخمسينات ورغم الهزائم المتكررة .

٢) ان القوى الدولية الكبرى بدورها لم تكن تدرك مدى اهمية المنطقة في الصراعات الدولية المتابعة والمتوقعة وليس ادل على ذلك بالنسبة للاتحاد السوفيتي موقفه من الاعتراف باسرائيل ثم الولايات المتحدة وموقفها من مشروع السد العالي .

٣) ان نفس القيادات العربية لم تكن تدرك مدى التطور الحقيقي في المجتمع العربي وكيف ان هذا المجتمع لم يعد يقبل المفاهيم ولا المدركات التي تقدمها قياداته من آن لاخر تعهدته المشاعر والاحاسيس القومية .

ب) عقب حرب ١٩٧٣ بدأت تبرز واضحة سياسة اسرائيلية اكتملت مع وصول ليكود الى السلطة اساسها اربعة متغيرات :ـ

اولا : تفتيت المجتمع العربي .

ثانيا : جعل هذا التفتيت مقدمة لتجزئة في كيانات هشة متميزة .

ثالثا : تطويق المجتمع العربي وعزله عن محيطه الجغرافي وفرض العزلة عليه .

رابعا : التحكم في هذا المجتمع بارادة هيمنة اسرائيلية .

العملية الاولى ساعدت عليها السياسة الامريكية المجتمع العربي في مواجهة اسرائيل يملك ثلاث قوى : مصر بكثافتها وقدراتها سوريا بايمانها بالعروبة السياسية والعراق بقدراته المادية . وهكذا برز اول عناصر المخطط الذى استهدف عزل هذه الاقطار ومحاولة اضعافها ولكن هذا المخطط لم يحرز النجاح المامول .

رغم ان هذا الفشل غير واضح ولايزال في بدايته الا ان اسرائيل تدخل له كل حساب .

جـ) لقد تحول هذا المهدا في الادراك الاسرائيلي الى خطة للحركة حدها الادنى هو منع التضامن العربي

من ان يحدث اى نوع من انواع التقارب بين دول المشرق العربي لقد سبق ورأينا ان فلسفة ليكود تنطلق من مفاهيم جابوتنسكي والتي محورها ان هذه المنطقة لاتمثل اى كيان متجانس ومن ثم فان التقارب بين اجزاء الوطن العربي باى صورة كانت لايتفق مع طبيعة المنطقة ولا مع خصائصها والذى يعني القيادة الاسرائيلية بصفة خاصة منطقة المشرق العربي . وهي لذلك تدفع شمال افريقيا بطريقة غير مباشرة للترابط مع دول السوق المشتركة اما مايتبقى من الوطن العربي فانها تخضعه لعمليات متعددة :

اولا : حروب جانبية

ثانيا : تطويع للقيادات

ثالثا : ترسيب لمفاهيم اليسر والثروة

رابعا : الدفاع عن الوضع القائم

ان مايخيف القيادة الاسرائيلية هو حدوث تضامن يرتفع الى مستوى التكتل الارادى من جانب الشعب العربي في حرب طاحنة ضد الوجود الصهيوني فهي تعلم جيدا بروز مجموعة من الحقائق تدرك انها لن تستطيع ان تتعامل معها بخطة المواجهة الصريحة :

١) تضخم السلاح العربي ان التفوق الذى مهز اسرائيل حتى الامس والذى لايزال قائما هو صحيح بالنسبة لكل دولة عربية على حدة ولكننا لو جمعنا فقط دول المواجهة لوجدنا ان التفوق الكمي بالنسبة لاسرائيل هو بنسبة ١ : ٦ لصالح الجانب العربي كذلك فان التفوق النوعي قد دخل في مساراته التي لايجوز الاستهانة بها ورغم ان هذا الموضوع سوف نعود اليه فيما بعد الا انه من المسلم به ان كل دولة من الدول المحيطة باسرائيل تفوقت في بعد معين من الناحية النوعية : فسوريا في سلاح المدفعية والعراق في الادارة العسكرية ومصر في التنفيذ وكلا من مصر والعراق في النواحي الجوية والصاروخية وسوريا ولبنان في قتال المرتفعات الجبلية مثل حتى السعودية يتوقع لها تفوق معين في خلال عدة اعوام في نوع معين من الصواريخ .

٢) تقدم في الكفاءة القتالية للجندى العربي وبصفة خاصة بسبب استيعاب التكنولوجيا المتقدمة بفضل تجنيد الخبرات الجامعية ونسبتها الضخمة في الجيش العامل لقد بدأ يبرز ذلك بوضوح في حرب تشرين وهو يزداد وضوحا بسبب ايضا التدهور الواضح في الجيش الاسرائيلي بعد خبرة حرب لبنان .

٣) وضوح التطور الخفي في القيادات العربية التي فهمت بوضوح ان بقاءها في السلطة اضحى معلقا على قدرتها على التفاهم مع المجتمع الجماهيرى الذى بدوره تغير بوضوح بسبب التقدم الديمقراطي من جانب ونشر المفاهيم التقدمية من جانب اخر والذى برز بشكل خاص سواء في الاهتمام بالتخصص العلمي في نطاق العمل القيادى سواء بالجدية في التعامل مع المشاكل فضلا عن احترام مشاعر المواطن العادى الذى اضحى يحسب له كل حساب .

ان مستقبل اسرائيل اضحى متوقف على ظهور زعيم واحد قادر على ان يكتل هذا المجتمع العربي في ارادة واحدة قادرة على التحدى ورفع راية العصيان والمخاطرة بكل شيء في سبيل استئصال اسرائيل من

من المنطقة وهو مايجعل الفكر السياسي الاسرائيلي يرتعد من مجرد التلويح به.

٨) تخريب الجسد العربي ومسالكه :-

احد الاساليب الحاسمة في مواجهة هذا التطور المحتمل هو القيام بعملية تخريب لقد سبق وابرزنا المخاطر العنيفة المترتبة على ذلك في المستقبل القريب ومنذ عدة اعوام الصحافة اليومية تنقل الينا في بعض الاحيان الكثير من المعلومات التي قد تبدو غير قابلة للتصديق وانها تتضمن نوعا من المبالغة او الاثارة على ان المتتبع للفقه النفسي والسياسي يلمس مدى صحة هذه المعلومات.

ان الذى يجب ان نعلمه هو ان مسألة اضعاف الجسد العربي وتفريقه من كل عناصر القوة هي مسألة حياة او موت والاهتمام بذلك ليس بالحديث ففي المؤلف الضخم الذى كتبه في نهاية حياته " بن جوريون " كانت وصيته للقيادات الاسرائيلية : ان اهتموا اساسا بالخطر الجاثم على حدود اسرائيل الغربية ويقصد بذلك مصر ويقول بصراحة : مصر التي سوف تصير ثمانين مليونا في نهاية القرن. الادوات والاساليب بذلك الخصوص لاتعدو واحدا من اثنين بل كلاهما : تحويل مصر الى مزرعة لانتاج القمح وتصدير الاغلال الاولى اقتصادية بنزع القدرة الصناعية والثانية اخلاقية بتسميم العقل واعادة تشكيل نظام القيم.

اضعاف الجسد العربي مسلكه الاساسي هو عملية التخريب والتخريب منطلقاته عديدة فلنتذكر بعضها :

اولا : عملية التسلل الى العقل العربي واستغلال التسلل في عمليات التخريب سبق ان فضحناها منذ عديدة اعوام ان قوة المجتمع هي اساسا في عنصرين : العقول والشباب. التخريب المعنوى يتجه الى العقول سواء بجذبها الى الخارج او بتحويلها الى عناصر مغتربة في الداخل او بتوظيفها ضد مصلحة وطنها الحقيقية دون الحديث عن خلق التحلل في ذاتيتها النفسية. والواقع ان احتواء العقل العربي ليس الا نموذجا للتخريب المنظم باساليب علمية لم تستطع بعد القيادات المسؤولة ان تواجهها.

٩) النظرة الجديدة للتعامل الدولي والاقليمي :-

التطور الحقيقي الذى تعيشه العقلية الاسرائيلية هو ذلك المرتبط بنظرية التعامل الدولي. ويبدو ذلك واضحا عندما نلحظ ان المفاهيم السائدة اليوم في التصور الاسرائيلي هي في جوهرها اقرب الى الصهيونية الاشتراكية ولعل هذا نموذج واضح كيف ان السياسة الخارجية لاتعرف ايديولوجيات وانما تنبع من الواقع الحي.

النظرة التقليدية والتي سادت في الدوائر المسؤولة الاسرائيلية وبصفة خاصة حتى عام ١٩٦٧ ولكن بصفة عامة ظلت تمارس تأثيرها حتى مجيء ليكود الى الحكم عام ١٩٧٧ انطلقت وبغض النظر عن الجزئيات من اربعة مفاهيم كل منها يكمل الاخر :

اولا : مفهوم الامن القومي يمثل الحد الادنى للحماية الذاتية وهو مفهوم مستقل عن السياسة الخارجية يرتبط بعلاقة اسرائيل بدول الجوار الجغرافي.

ثانيا : اساس السياسة الاسرائيلية وجوهرها هو اقامة حائط يحيط بها انها مجتمع الجيتو في منطقة الشرق الاوسط وقد اضحى حقيقة سياسية هذا الحائط ليس فقط للحماية السياسية بل وكذلك لحماية النقاء العنصري.

ثالثا : التعامل مع العالم يجب ان يكون حذرا هذا العالم باجمعه الذى كسره اليهود هو اليوم يكره اسرائيل والذى سعى لاستئصال اليهود هو اليوم لم يتغير ولم تتغير نظرته الى اسرائيل سوى في ان يهود اسرائيل يصارعون مجتمعا ايضا بدوره موضع العداوة من الاسرة الدولية.

رابعا : على اسرائيل وعلى قياداتها السياسة ان تتجنب اى تورط التورط هو قيود تمنع الحركة وقد تقود الى نتائج لن تستطيع اسرائيل مهما بلغت من الذكاء أن تتخلص منها في المستقبل.

عقب مجيء ليكود وبصفة خاصة عقب خبرة لبنان سوف نكتشف مفهوما جديدا للسياسة الخارجية. السبب الحقيقي في هذا التغير هو ان اسرائيل لم تعد تمثل مجتمع الجيتو الذى عرفته العقلية اليهودية وسيطرت على القيادة اليهودية حتى عام ١٩٦٧ وانما اضحت كيانا قويا.

انها انتصرت في عام ١٩٦٧ وهي رغم هزيمة ١٩٧٣ سرعان ما استعادت نفسها عسكريا واحرزت نتائج دبلوماسية خطيرة وهي تهدد وتصول وتجول في المنطقة. هذا الواقع الجديد كان لا بد وان يعكس نظرة جديدة للسياسة الخارجية قد تبدو غير واضحة وغير مقننة ولكن متابعة الجزئيات تسمح ببناء عناصرها.

أ) لقد توسع مفهوم الامن القومي ليصير مرادفا للسياسة الخارجية اي لعبة القوى وقد اضحى واعيا مقوماته.

ب) الحائط الذى اقامه بن جوريون وابناؤه ليس مشكلة حدود مغلقة وانما هو سيادة تخيف وترهب.

جـ) التعامل الحذر لا يمنع من البحث عن عناصر المساندة وتدعيم تلك العناصر بكل ماتملك من امكانيات.

د) التورط هو قدر يجب ان نواجهه ماهي الدولة التي تريد ان تكون ذات فاعلية ولم تتورط؟ كذلك فان التورط له حساباته.

هذا هو المفهوم الجديد الذى برز متلصصا مع ليكود ثم تأكد مع حرب لبنان ولايزال سائدا رغم المشاركة في السلطة.

يعنينا من هذا المفهوم النتائج المختلفة المرتبطة بمفهوم الامن القومي وقد برزت هذه النتائج بصفة خاصة في ابعاد اربعة : الاول : المتعلق بتنفيذ ماسعى في حينه " البرنامج الكبير " والذى يدور حول حرب لبنان. الثاني : ويرتبط بالتطور العضوى الذى اصاب العلاقات الامريكية الاسرائيلية. الثالث: ويدور حول منطق المساندة الدولية وارتباط ذلك بالتعامل الاقليمي. الرابع : ويقودنا الى حقيقة التطور في علاقات التعامل مع دول اخرى خارج النطاق العربي.

نتابع هذه النواحي بشيء من الايجاز.

اول هذه النواحي تلك المتعلقة بالتعامل مع حرب لبنان الواقع ان خلف هذه الحرب مفهوما اساسيا وهو

الافتراض الذى ساد العقلية الجديدة من ان القوة العسكرية يمكن استخدامها لخلق الظروف السياسية الملائمة نتيجة الحرب اثبتت فساد هذه النظرة.

أ) ان اعداد اسرائيل في لبنان ليسوا فقط المقاومة الفلسطينية بل وقد ساعد الفرد على خلق قوة معادية جديدة لاتقل خطورة.

ب) ان استخدام القوة قد يخلق حركة مقاومة قوية لايمكن الاستهانة بها.

جـ) حرب لبنان احالت الجيش من قوة عسكرية الى قوة بوليسية.

د) وقد فرضت هذه الحرب على القيادة الاسرائيلية خلافا لتقاليدها ان تحترم الحماية التي تبذلها الامم المتحدة.

على ان اخطر نتائج حرب لبنان هو فشل حرب ليكود في ان ينفذ ماأسماه " البرنامج الكبير " الذى يعني البدء ولو خطوة في انشاء اسرائيل الكبرى من خلال ابتلاع جزء على الاقل من جنوب لبنان وخلق دولة موالية وتعمل في فلك الارادة الاسرائيلية في لبنان.

الناحية الثانية وحتى المتعلقة بالتطور العضوى في العلاقات بين تل ابيب وواشنطن مما لاشك فيه ان علاقة الولايات المتحدة باسرائيل الايجابية تعود الى ماهو قبل انشاء اسرائيل نفسها وعلى الاقل منذ القرار التاريخي بالتقسيم رغم ذلك فقد طلبت العلاقات دائما لايتوجها الى صك دولي . فالقيادة الاسرائيلية تخشى التورط من جانب والقيادة الامريكية تعلم ان مصالحها ليس في اسرائيل وحدها في المنطقة هذه العلاقات تغيرت جوهريا عقب حرب ١٩٦٧ عندما اثبتت اسرائيل امكانياتها للسياسة الامريكية رغم ذلك فان القيادة الاسرائيلية كانت تخشى دائما رد الفعل السوفيتي .

حزب ليكود يمثل متغيرين اساسيين : مفاهيم جابوتنسكي ،من جانب والاتجاه المحافظ الجديد من جانب اخر وهكذا برزت واضحة في الادراك الاسرائيلي صورة جديدة للتعامل مع الولايات المتحدة:

اولا : فالولايات المتحدة هي الفاعل الوحيد الجدير بالثقة والتأثير في منطقة الشرق الاوسط.

ثانيا : وذلك يعني ان العلاقة بين تل ابيب وواشنطن يجب ان تكون علاقة استراتيجية في بعدين : من حيث الزمان من جانب ومن حيث النظام الكلي للدفاع على مستوى الكون للمصالح الامريكية من جانب اخر.

ثالثا : كما ان الولايات المتحدة هي المتغير الدولي الوحيد في المنطقة فكذلك يجب ان ينظر الى اسرائيل على انها الصديق الوحيد للولايات المتحدة في المنطقة.

رابعا : التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة يجب ان يمتد ليشمل جميع اجزاء منطقة الشرق الاوسط دون استثناء نفس منطقة الخليج .

متابعة تطور هذه العلاقات ليس موضوع هذه الدراسة ولكن الامر الذى لاشك فيه انهم مع بقاء ليكود منفردا بالسلطة ظلت هذه العلاقات ورغم جميع الصعوبات في تزايد مستمر لتصير اليوم في اقصى قوة لها من حيث الترابط الاستراتيجي ،ولعل هذه الناحية لن تكتمل لو لم نلفت النظر الى عدة

ملاحظات :-

الملاحظة الاولى :- ان اسرائيل تعمل جاهدة على الا توجد في المنطقة قوة اخرى تستطيع ان تقدم خدماتها للسياسة الامريكية وهذا بدوره يزيد من اعتماد الولايات المتحدة على اسرائيل .

الملاحظة الثانية :- ان نصوص التعاون الاستراتيجي التي تتجدد سنويا ورغم اننا لانعلم عنها شيئا على سبيل الدقة الا انها تتسع لتشمل ايضا منطقة الخليج .

الملاحظة الثالثة :- ان هذا التعاون انتهى ايضا بالتأثير في الادراك الامريكي لقد كانت النظرة الامريكية ان من مصلحة واشنطن ان تعيش المنطقة مرحلة استقرار . اليوم وتحت التأثير الاسرائيلي فانها تؤمن بان الاضطراب والتوتر بشرط ان يكون مضبوطا ومتحكما فيه اكثر مدعاة للتوافق مع المصالح الحقيقية الامريكية.

الناحية الثالثة : وهي المرتبطة بعملية المساندة الاقليمية ،اسرائيل لم تعد تؤمن بانها في عالم تسوده العداوات ضد المجتمع اليهودى ،هذه النظرة ان لها ان تتغير،على اسرائيل ان تنطلق في العالم لتخلق لنفسها المساندة في كل مكان يجب ان تقوى نفسها في مواجهة خصومها العرب من خلال التعامل مع كل من له مصلحة من الممكن ان تتفق مع مصالحها وهي لذلك لاتتردد في ان تلقى بشباكها نحو الصين ،وسوف نرى ذلك اكثر وضوحا فيما بعد الذى يعنينا ان نتذكره ان لم تمنعها من ذلك عدم وجود علاقات دبلوماسية مع بكين بل والصفعات المتتالية التي تتلقاها من قيادة الصين الذى يعنيها هو النتيجة كذلك مع الاتحاد السوفيتي ،الزعيم الجديد وجو التعايش والوفاق الجديد يؤهل ويسهل لنوع جديد من التعامل وذلك دون الحديث عن اتحاد جنوب افريقيا .

ولعل هذا القصور الجديد يبرز في صورة واضحة في اسلوب التعامل مع دول الجوار الاقليمي . لقد كان المفهوم السائد في القيادة الاسرائيلية العمالية هو تطبيق مبدأ شد الاطراف ومن ثم فقد اعتقدت تلك القيادة ان خير سياسة يجب ان تتبع هي خلق روابط وثيقة متجانسة اساسها التحالف العداشي الضمني مع القوى المعادية للعرب سواء في اسيا وافريقيا .

١١) البعد الاقتصادى لمفهوم الامن القومي الاسرائيلي :-

سبق ان لاحظنا كيف ان المفهوم التقليدى للامن القومي الاسرائيلي كان واضحا ومقننا ودقيقا . مرد ذلك ان البعد السياسي كان ينصهر في البعد العسكرى وكلاهما يجعلان من البعد الاقتصادى جزئية فرعية تابعة ،الامن القومي هو تعبير عن صياغة استراتيجية لمواقع الضعف في الدفاع عن الاقليم بحيث يتحول الضعف الى قوة وبحيث لايمكن ان يخضع الجسد لاحتمالات ومخاطر لاقبل بها نتيجة خصائص وظروف اقليمية القومي . ومن ثم فان النواحي الاقتصادية للتطور القومي تأتي في مرتبة ثانية. الامن القومي في جوهره مفهوم استراتيجي يتم تقنينه بصياغة سياسية سواء توسعنا في المفهوم ام ضيقنا في المفهوم ،يظل دائما محوره الاوضاع الاستراتيجية للاقليم ولكننا لمسنا كذلك كيف ان الفكر الاسرائيلي المعاصر يتميز ودون الاعلان الصريح عن ذلك بالفصل الواضح بين البعد السياسي والبعد العسكرى

بمعنى البعد الفني التكنولوجي للامن القومي هذا الفصل يرتبط به ايضا توسع لمعنى الا من القومـــي بحيث تصير المصالح القومية الاقتصادية جزءً لايتجزأ من الامن القومي .

انها لغة القوى الذى يستخدم فقط قوته لاثبات دعواه .

على ان الواقع ان البعد الاقتصادى لمفهوم الامن القومي في الادراك الاسرائيلي اكثر بعدا من ذلك ولنستطيع ان نفهم حقيقة هذا البعد يتعين علينا ان نبدأ فنحدد المنطلقات التي فرضت دينامية ذلك الواقـــع :ـ

اولا : اول مانلاحظه ان الفقه من خلال المتابعة التاريخية يلحظ بوضوح تجانس وتطابق في مجمـــوع الاهداف القومية بين مرحلتين في مواجهة مرحلة ثالثة فالمرحلة الاولى اى منذ انشاء اسرائيل حتى عام ١٩٦٧ تتميز بالانكفاء والبناء الداخلي ليس هناك صوت واحد ارتفع خلال هذه الفترة يدافع عن تحقيق اهداف توسعية سريعة . المرحلة الثانية وهي تمتد منذ عام ١٩٦٧ حتـى اجمـالا عام ١٩٨٢ وهنا نلحظ نغمة ثانية حول الامتداد والتوسع والهيمنة والاستيعاب عقب عام ١٩٨٢ ، وبصفة خاصة عقب انسحاب مفاهيم بيجين من الحياة السياسية تعود اسرائيل الى مرحلة تذكرنـا بالمرحلة الاولى اى مرحلة الانكفاء على الذات ،مرحلة سيطرة الاهداف الداخلية .

ثانيا : هذه المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي نعيشها والتي نتوقع استمرارها خلال الاعوام العشـرة القادمة تتميز بمجموعة حقائق تنبع من متغير اساس وهو الفشل هناك فشل قد يبد وغير واضـح ولكن المتتبع لدقائق الامور يكتشفه بصورة واضحة :ـ

أ) فشل في التعامل الاقليمي الخارجي بدء هذا الفشل ١٩٨١ وماعقبه من عدم استطاعـة الدبلوماسية الاسرائيلية في تطبيع العلاقات مع مصر ثم فشل في لبنان حيث الاهداف الاسرائيليـة لم يتحقق اى منها واضطرت القوات العسكرية الاسرائيلية ان تنسحب بارادة واحدة .

ب) فشل اقتصادى ان التدخل الاسرائيلي في لبنان كلف الاقتصاد الاسرائيلي الكثير والتضخم ثـم التدهور الاقتصادى في داخل اسرائيل ليس موضع تعليق متوسط الدخل القومي الذى كان يراد له ان يظل متوازنا مع دول جنوب اوربا وبصفة خاصة ايطاليا اضحى اليوم لايكاد يصل الى قبـرص الا بصعوبـة .

جـ) فشل قيادى حيث اختفت الساحة السياسية عقب انسحاب مناحيم بيجين من اى قيادة ذات رؤيـة تاريخية على مستوى المسؤولية ويعترف بذلك اقرب الاوربيين المؤيدين والمدافعين عن الصهيونيـة السياسية بما في ذلك نفس كيسنجر . اسرائيل تعيش ازمـة سياسية حقيقة .

د) وقد ارتبط بذلك نوع من التشاؤم في الرأى العام السائد في اسرائيل برز على لسان رجل الشارع وكذلك المسؤول في جميع الابحاث الميدانية التي اجريت وبصفة خاصة منذ عام ٨٤ ١٩ .

ثالثا : ومن هنا كان لابد وان يطرح الفكر السياسي هذا السؤال : ماهي الاهداف القومية التي يجب ان تسيطر على الادراك الاسرائيلي خلال الحقبة القادمة والتي يجب ان تتحول الى برنامج عمـل

واضح يتبلور في كل ماله صلة بالسياسة الخارجية بما في ذلك مفاهيم الامن القومي ؟

الاجابات متعددة ولكن من خير هذه الاجابات الصياغة التي يقدمها لنا رئيس تحرير صحيفة هاارتـز العبرية احد عمالقة الفكر السياسي الاسرائيلي شفيتزر .

ورغم اننا نختلف معه في بعض جزئياته الا ان يقدم تصورا هو السائد في الفكر السياسي الاسرائيلـي منطلق هذا الفكر ان اسرائيل خلال خلال هذه الاعوام الثلاثة التي نعيشها ولعدة اعوام قليلة تعانـي تغيرا كليا وكاملا في اهدافها القومية فهي تسير بثبات نحو برنامج يدور حول :

أ) اصلاحات داخليـــة .

ب) ذات طبيعة مدنية

جـ) وتتجه الى النواحي الاقتصادية بالدرجة الاولى .

د) تحقيق تسويات تؤمن لها الاستقرار لمعالجة مشاكلها .

هـ) وذلك بحيث تتم عملية خلـق واقـع من الناحية الاقتصادية لاسرائيل في منطقة الشـرق الاوسط .

هذه هي الاهداف الخمس التي يجب ان تسيطر على السياسة الاسرائيلية ومن ثم تشد كل مفهومهـا للامن القومـي .

فاول مايجب ان يسيطر على اسرائيل هو الاصلاح الداخلي لقد ظلت اسرائيل خلال العشرين عاما تنظر الى الخارج وتتجه بسياستها الى مايحيط بها عليها ان تجعل هدفها اليوم ان تخلق فـي اسرائيل الدولة المثالية ،النموذج الذى يسعى اليه الجميع بحيث يكون الاعجاب مقدمة للاحتذاء . لقد فتحت اسرائيل حدودها مع مصر ولكن ماذا قدمت لهذه الاخيرة؟

المجتمع الاسرائيلي مجتمع مريض ملىء بالتناقضات والجرائم والاختلالات فهل هذا هو الذى سـوف نطرحه للدول العربية التي سوف تقبل علينا ؟ هكذا يتساءل اكثر من عالم واحد . وهـو يعيد للذهن ذلك الذى قام به الاباء الاوائل مابين انشاء اسرائيل وحرب عام ١٩٦٧ بامكانيات محدودة فلماذا الاتعاد القصة اليوم وقد اضحت الامكانيات لاحدود لها ؟

هذه الاصلاحات الداخلية يجب ان تكون ذات طبيعة مدنية ،الامة المحاربة ليس هـو المفهـوم الذى يجب ان تصدره اسرائيل بل ان تصديره ليس لصالحها يجب ان تخلق المجتمع البورجوازى الهادىء الذى هو نموذج والذى يجب ان يسود مجتمعات الشرق الاوسط لان هذا سوف يمكن اسرائيل مهما ان تتحكم هي في ذلك المجتمع على الطبقة القيادية ان تفكر في اساليب جديدة للتحكم في الشعـوب ولماذا تذهب بعيدا ؟ اليس هذا هو الاستعمار الجديد ؟

وهو يجب ان يتجه الى النواحي الاقتصادية بالدرجة الاولى يجب ان نرفع مستوى الحياة فـي ارض اسرائيل لقد ثبت ان مستوى الحياة قد انخفض خلال الاعوام العشرة الاخيرة . وخلال هذه الفترة عاشـت اسرائيل اساسا على المعونة الامريكية يجب ان تضع القيادة المسؤولة في اسرائيل ثلاث حقائق ،الحقيقـة الاولى : ان الاعتماد على المساعدات الخارجية يحول دون بلوغ الاستقلال الاقتصادى . الحقيقـة

الثانية ان التخلي عن المعونة الامريكية يعني اكتشاف مصادر جديدة للثروة (الحقيقة الثالثة) ان مستوى الحياة في اسرائيل يجب الا ينخفض بل ان يرتفع لانه حتى لو اراد ان يحافظ على وضعه الذى ظل حتى وقت قريب وهو مستوى دول جنوب اوربا فانه يجب ان يرتفع لان مستوى الحياة في دول جنوب اوربا يرتفع. وامام اسرائيل بهذا الخصوص ثلاثة مصادر يجب تنميتها والعمل على استغلالها الى اقصى حد :

(المصدر الاول) : بيع السلاح وقد استطاعت اسرائيل ان تجعل من هذه السلعة سوقا رائجة لها ليس فقط اسيا وافريقيا بل وفي بعض دول اوربا الغربية كبلجيكا والمانيا والولايات المتحدة.

(المصدر الثاني) بيع الخدمات وهذه بدورها سلعة مربحة لانها ليست في حاجة الا الى درجة عالية من العلم والخبرة وهي جميعها متوفرة في اسرائيل . وقد اثبتت اسرائيل نجاحها بشكل خاص في افريقيا وفي الصين بذلك الخصوص.

(المصدر الثالث) الصناعة السياحية وما يرتبط بها من نشاط مصرفي . واسرائيل تملك من التقاليد بذلك الخصوص ما يهيىء لها نجاحا كبيرا . فالى جانب موقعها فان خبرة تحويل الكيبوتزات الى اماكن سياحية اثبتت نجاحا منقطع النظير.

ولعل سياسة تحقيق خطوات تسوية مع الدول العربية وبصفة خاصة المحيطة بها تصير في هذا الاطار خير منطلق للتسلل الى المنطقة. ان وضع حد للكراهية التي تعمقت في المنطقة في حاجة الى فترة غير قصيرة ولكن الظروف الحالية مواتية. لقد تراكمت (اولا) الهزائم في المنطقة وبصفة خاصة على كاهل الطرف العربي . ومن جانب اخر فان التعايش بين اسرائيل وبعض دول المنطقة قد تم فعلا . لقد تم مع مصر ومع الاردن ،

المهم الذى يجب ان نضعه في ذهننا ان يتم ذلك من خلال تعامل ثنائي بمعنى وضع نموذج للتعايش.

على ان اهم ما يعنيه هذا القصور ، ومن هنا تبدو علاقتها لامن القومي ، ان هذا التعامل الاقتصادى القصد الاساسي منه هو زرع الوجود الاسرائيلي في المنطقة باللغة الاقتصادية.

ان خلق المسالك التي تؤدى الى ربط اسرائيل بالاقتصاد الاقليمي وجعل اسرائيل تندمج في المنطقة اندماجا اقتصاديا كاملا وذلك بمعنى ان تصير اسرائيل وسيلة لحل مشاكل المنطقة وان تقدم للمنطقة ما هي في حاجة اليه تلك المنطقة وما لا تستطيع ان تجده المنطقة خارج اسرائيل وان وجدته فهو بسعر مكلف . يجب ان تعمل اسرائيل اقتصاديا بصمت وهدوء بحيث تصير المنطقة وقد اضحت لا تستطيع ان تستغني عن اسرائيل .

وهذا هو البعد الاقتصادى للامن القومي لاسرائيل .

ولكن هل هذا يعني عدم الاهتمام بالنواحي العسكرية المطلقة ؟

(٣) امن اسرائيل "القومي" والمتغيرات العسكرية

١٢. الصراع الفكرى حول الامن العسكرى : نظرية شارون في امن اسرائيل "القومي" :

مفهوم الامن الاسرائيلي خلال الفترة القصيرة الماضية ومنذ حرب لبنان ونتائجها شهد تغيرات جوهرية. المحور الحقيقي لهذا التغير هو نتيجة الفشل العسكرى حيث سادت الاوساط المسؤولة قناعة اساسية : اسرائيل في حاجة الى ان تزرع وتصير جزءا لا يتجزأ من ذلك الاقليم المسمى بمنطقة الشرق الاوسط. وفي هذا الاطار الفكرى فمن العبث الحديث عن قوة وعنف ومفاهيم تنبع من فكرة الشعب الذى لا يقهر. بطبيعة الحال الادراك الاسرائيلي لا يزال يعيش في بعض عناصر التقاليد الماضية التي يصعب عليه التخلي عنها دفعة واحدة . كذلك هذا الادراك الجديد يملك عناصر متعددة طرحتها الخبرة السابقة على حرب لبنان . حرب ١٩٧٣ هي البداية الحقيقية وما ارتبط بها من تطور انتهى باتفاقية فك الاشتباك الثاني ثم بصفة خاصة اتفاقية كمب ديفيد . كذلك فان الادراك الذى يسود القيادة الحاكمة بطبيعته عنصرى متسلط ومن ثم هو في جوهره ضد هذا التصور . هذا التصور تقف ضده ثلاث عقبات: تقاليد حزب حيروت النقية والتي لا يزال يحملها الكثيرون من القادة الحاليين برعونة وعدم بعد نظره للخوف من احتمالات مثل هذا التصور على مستقبل اسرائيل اذ انه قد يكون ماسا في تاريخ اسرائيل تعيد قصة النزوح الحقيقي ، ما يعنيه قبول هذه الفلسفة من تغيرات جذرية في هيكل وفلسفة الاستيطان الصهيوني . ان اول ما يعنيه هو التخلي عن الطبيعة العسكرية العدوانية العنصرية لفلسفة الدولة. ولنتذكر ان مثل هذا التخلي يفرض على سبيل المثال التخلي عن الوظيفة العسكرية للمستوطنات والتي هي ترسبت في جميع القناعات الاسرائيلية منذ نشأتها بل منذ بداية الحركة الصهيونية حتى اليوم.

كيف الحل ؟

رغم عدم الاعلان عن ذلك الا انه يخيل الينا ان المسلك الذى تتبعه القيادة المسؤولة يسير في خط متوازى : التغلغل السلمي من جانب مع الاحتزاز العسكرى من جانب اخر بحيث لا تفقد القيادة فرصة العودة الى الوراء لو ثبت لها عدم صلاحية مثل هذه الاستراتيجية . مثل هذا الاسلوب التوفيقي والاحترازى يتفق مع متغيرات عديدة تميز الواقع الذى تعيشه اسرائيل في هذه اللحظة:

(اولا) فالصيغة الحاكمة هي مجموعة من اليمين يتوسطها حزب حيروت ومجموعة من الوسط يسيطر عليها حزب الماباى . ورغم ان هناك خلاف بين المجموعتين الا ان هناك نقطا للاتفاق وهي تعكس تنازلات من الجانبين . صياغة الحكم هي المهادنة والتوفيق (Compromise) .

(ثانيا) . في كلا الجانبين لا توجد قيادات كبرى . فشيمون بيرز لا يصلح لوظيفة الرجل الاول . ورابين قصير النظر . وحزب حيروت هو قصة مناحيم بيغين الذى اختفى دون ان يترك خليفة حقيقة له .

شارون اصلح لان يقود عصابة من ان يكون رجل دولة. اسرائيل تعاني حقيقة من اختفاء القيادات حتى في خارج الكتلتين لا توجد اية قيادات فكرية.

(ثالثا) . الاطار الاقليمي يسمح بذلك .

(رابعا) . والاطار الدولي بدوره يفرض ذلك . التقارب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يفرض التعامل مع الاوضاع الاقليمية من منطلق الخيار بين واحد من اسلوبين لا ثالث لهما : اما ان الدولتين العظميين تستبعدان عن التدخل في مشاكل الاقليم بحيث لا تنقل خفايا الصراع بينهما الى هذا الواقع الاقليمي ، واما ان تجعل من هذا المواقع منطلق لصراع قد يصل الى حد الحرب من خلال الوسيط. وهكذا طبيعة هذه العلاقات تسمح بجميع الاحتمالات بما في ذلك مثل هذه الفلسفة الجديدة.

هذا التطور يبدأ في صورة واضحة في عام ١٩٨١ اى قبل غزو لبنان بعام تقريبا . فعقب الانتصار الثاني لمناحيم بيغين وجد انصار الصقور في شارون بطل الثغرة في حرب اكتوبر القائد الجديد الذى خلف موشي دايان . نظرية شارون التي سوف تصير اخر تعبيرات الفلسفة القديمة تقوم على اربعة عناصر :

١. مفهوم الهجوم الاستراتيجي Strategic Offensive ويقوم هذا المفهوم على فكرة تغيير الوضع السياسي للقوى المحيطة بالحدود الاسرائيلية بمعنى انه يجب تغيير الوضع السياسي لتلك الاجزاء التي كان الغرض من التعامل معها مجرد الاحتفاظ بالوضع القائم .

٢. العمليات العسكرية يجب ان تمارس في كل لحظة تبدو فيها امكانية تحقيق الاهداف القومية. ان البقاء القومي يفرض ضرب العدو والقضاء على قدراته اينما كانت سواء كان الخطر حالها او محتملا باى معنى من المعاني .

٣. ان وظيفة الجيش الاسرائيلي ان يحافظ على وضع عدم التوازن للقوى المعادية وذلك لابد من ان يتخذ الدفاع ليواجه التهديدات التي قد تصدر ضد اسرائيل .

٤. على الحكومة ان تحافظ على قدرتها على اتخاذ القرارات الاستراتيجية بمرونة .

مستندة في هذا الى التقييم والاحكام التي يصدرها العسكريون ورجال الامن المسؤولون دون البحث الضرورى عن الرضا القومي الذى تعودنا ان نرى فيه مساندة لاغنى عنها للقرارات المصيرية .

هذه هي النظرية التي قادت اسرائيل الى لبنان في عام ١٩٨٢ والتي جعلت بعض المحللين يصل الى حد التساؤل : هل نحن بصدد انقلاب عسكرى؟ لقد فشلت اسرائيل في لبنان وانسحب مناحيم بيجين من السلطة وابعد شارون عن وزارة الدفاع ولكن لا يزال الصقر في الحياة السياسية عنصر فاعل ولا يزال مؤيدوه، ولا يزال موضوع الامن القومي موضع نقاش حاد . وفي الانتخابات القادمة نجد الوزير المذكور يتصدر قائمة ليكود الامر الذى يعني ان افكار شارون لا تزال تجد من يؤيدها وبصفة خاصة كما تثبت الابحاث الميدانية بين الشباب وعلى وجه التحديد اولئك الذين سوف يقدر لهم اول استخدام للحق في التصويت في الانتخابات القادمة والذين يتميزون بالاصل الشرقي من جانب والميل الى الصلابة والعنف في التعامل مع العرب من جانب اخر واتخاذ الحلول الحاسمة من جانب ثالث وبصفة خاصة

عقب احداث الانتفاضة.

رغم ذلك ورغم انه في لحظة معينة خرجت اصوات خائفة تتحدث عن احتمالات الانقلاب العسكرى بل وجعلت خير محلل للدور السياسي للمؤسسة العسكرية "بيرى" يختتم كتابه بهذا التساؤل : هل نسير نحو ديمقراطية عسكرية؟ الا ان جميع الدلائل تؤكد على ان "شارون" لن يكون القائد الجديد لاسرائيل خلال الحقبة القادمة ـ لماذا ؟

(اولا) لان امن اسرائيل الحقيقي لا يكمن في مغامرات عسكرية . لان الاوضاع في المنطقة تتطور بأتجاه يجعل مثل هذه المغامرات باهظة الثمن .

(ثانيا) ان المغامرات العسكرية والتي برع فيها شارون ومهما كانت مغرية فهي تكلف اسرائيل اكثر مما تكلف جيرانها وتزيد من تبعية اسرائيل للخارج فضلا عن تعميق كراهيتها . اسرائيل لا يجوز ان تنسى انها دولة صغيرة ومحدودة القدرة مهما بدا عكس ذلك .

(ثالثا) ولا يجوز ان ننسى ان الاطار الدولي لم يعد يقبل هذه المغامرات . لقد قبلها مرة واسرائيل تدافع عن حقها في البقاء ولكنها اليوم لم تعد كذلك . ويجب ان تعترف بالعزلة الدولية التي تعيشها اسرائيل والتي عاشتها عقب حرب ١٩٦٧ والتي يمكن ان تعيشها مرة اخرى وبصفة خاصة عقب الممارسات العنيفة التي اضحى الرأى العام الدولي على وعي بها منذ قدر لاسرائيل التغلغل في لبنان .

(رابعا) كذلك يجب ان نتذكر ان القوى المؤيدة لشارون محدودة كما وكيف وان انسحاب مناحيم بيغين من الحكم اضعف من موقفه امام الرأى العام بطريقة واضحة لم تعد موضع مناقشة.

ومع ذلك فان المؤشرات التي تنبع من برامج الاحزاب الانتخابية وقوائم المرشحين تدل بجلاء ان النزعة العدوانية العسكرية المغامرة هي النزعة المسيطرة وان الصقور هم الذين يصولون ويجولون بينما "الحمائم" تتوارى في اعشاشها .

١٣. نظرية القتال في الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي : خلاصة :

الفكر العسكرى يسير في خطه المستقل والذى خلاصته الاجابة على هذا السؤال : بغض النظر عن مضمون السياسة الاقليمية الاسرائيلية ما هي القواعد التي يجب ان تسيطر على الادراك العسكرى الاسرائيلي لتضمن تفوقها التقليدى على جميع الدول العربية المحيطة بها ـ ؟ وهو بهذا الخصوص يتتابع بطريقة منطقية تفرض نفسها ,

أ. نقطة البداية : ما هي الادوات الاجرائية والعسكرية التي تسمح في ظل الاطار الحالي للقدرة العسكرية بالتفوق الكامل على الدول العربية ؟ ما هو خير سلاح يسمح بذلك وكيف يمكن الاختيار بهذا الخصوص ؟ بطبيعة الحال الاجابة على هذا السؤال لا يمكن ان تكون دقيقة الا اذا اخذ في الاعتبار : السلاح الذى يملكه الخصم ، القدرات الذاتية على توفير السلاح المطلوب ، الاطار الدولي والاقليمي وكيفية استخدام ذلك السلاح او التهديد باستخدامه.

ب. على ان النظرية القتالية ليست فقط تفضيل سلاح على سلاح . انها ايضا لغة استراتيجية بمعنى انها تفترض خطوات متعاقبة لاعداد الاطار الاقليمي لاستخدام ذلك السلاح بأكبر قسط من الفاعلية . فما هي عناصر هذه اللغة استراتيجية التعامل الميداني ؟

ج . كذلك فهناك ما يسمى بالخيال الاستراتيجي الميداني اى تصور مسرح العمليات . وهذا بدوره يفرض تساؤلات على قسط خطير من الاهمية لانها هي وحدها التي يتوقف عليها النجاح . ان نظرية القتال ليست مجرد خطة للتعامل واداة للقتال ولكنها ايضا مسرح للعمليات واسلوب لاحتضان ذلك المسرح فاذا بالمقاتل والسلاح وارض القتال جهد وارداد واحدة بحيث لا تستطيع اى قوة ان تنسابين جزئياتها .

هذه النواحي الثلاث موضع التفكير العسكرى الاسرائيلي .

١٤. استراتيجية التفوق وانتقالها من نظرية الامن القومي الى نظرية الحرب :

السؤال الاول الذى يسيطر على الفكر العسكرى الاسرائيلي لا يزال هوالذى ساد هذا الفكر منذ وجود اسرائيل حتى اليوم . يجب ان تظل اسرائيل متفوقة على جميع الدول العربية في آن واحد . على ان هذا التساؤل الذى كان سهلا واضح الاجابة في النظرية الامنية التقليدية والتي سادت الفكر الاسرائيلي حتى حرب ١٩٧٣ لم يعد كذلك . كمتغيرات جديدة فرضت هذه الصعوبة :

(اولا) قدرة العرب على الحصول على السلاح ايضا المتقدم بحيث اضحت الفجوة من حيث نوعية السلاح بين اسرائيل والعرب تكاد تكون قد تقلصت بل في بعض الاحيان هناك دول عربية تملك سلاحا اكثر تقدما ـ سلاحا تقليديا ـ من السلاح الذى تملكه اسرائيل .

(ثانيا) حدثت تغيرات في ميدان المعركة وذلك مرده تهديدات جديدة وتطورات عنيفة على الجيش الاسرائيلي الذى يواجهها . ولنتذكر ان اسرائيل لو قدر لها ان تحارب مصر او الاردن اوالسعودية فان معاركها سوف تمتد الى جميع اجزاء البحر الاحمر .

(ثالثا) كذلك فان هناك احساسا متزايدا بقيود ضخمة على قدرة اسرائيل ليس فقط بمعنى القدرة على الانفاق بل وكذلك بمعنى القدرة على الحركة . فموارد اسرائيل محدودة ومهما قيل عن مساعدة امريكية فهي لا تقاس بموارد الدول العربية اوعلى الاقل بعض الدول العربية واقليمها محدود لا يتيح لها الا حدود معينة للمناورة وكذلك للاستعداد ، وعلى سبيل المثال لوجود مطارات تستطيع ان تستقبل الطائرات الحديثة والمتقدمة المتوقع استخدامها في القتال القادم .

(رابعا) استخدام الصواريخ لابد وان يضع قيدا اخر وبصفة خاصة بالنسبة لدعوة الاحتياط الذى يقوم عليها الجيش الاسرائيلي المحارب . وقد سبق ورأينا ذلك عندما تعرضنا لامكانيات الاردن في قتال مقبل .

(خامسا) اضف الى ذلك ان فكرة النوع في مواجهة الكم اى القلة في مواجهة الكثرة تملك قيودها .

فهناك حد لذلك وكبار القادة يعلمون بهذا الخصوص حقيقتين لا موضع للمناقشة بخصوصها :

الاولى ان الجيش المنتصر في الخاتمة هو الجيش الاكبر عددا والمتفوق كما ولو في حدود معينة ،

الثانية ان الكم في لحظة معينة يتحول في ذاته الى كيف .

في ضوء هذه المعطيات فان امن اسرائيل العسكرى يقوم على المبادئ التالية والتي جميعها تكمل بعضها بحيث تخلق نسيجا من الادراك القتالي يتلخص في كلمتين : الاحتفاظ بالتفوق ولو بأساليب غير تقليدية :

١. التطوير العنيف في السلاح الكيميائي والجرثومي .
٢. وضع قواعد تسمح بالتحكم في القدرة الصاروخية العربية ، تطوير منظومات مضادة
٣. جعل اساس الاستراتيجية الاسرائيلية الخيار النووى .
٤. اضافة مبدأ تطوير السلاح البحرى والتحكم المتزايد في المداخل البحرية .

كل من هذه المبادئ والادوات يملك استراتيجيته المستقلة . وهذه الدراسة ليس موضوعها دراستها ، المبادئ بالتفصيل . ان هذه المبادئ تدخل ضمن العقيدة القتالية الجديدة . الفارق بين نظرية الامن القومي و نظرية الحرب في الفكر الاسرائيلي المعاصر يجب ان يكون واضحا في الذهن . الاولى تجيب على السؤال : متى يجب ان نحارب . الثانية فقط تطرح التساؤل : كيف نحارب ؟ سلاح ، ميدان معركة ، اسلوب قتال مجميعها اسئلة تدخل في نطاق نظرية الحرب .

المراجع

KRAUSZ. Politics and society in Israel , 1985.

GABRIEL,Operation peace for Galilee,1984.

TRIPP, Regional security in the Middle East ,1984.

GRANOTIER,Israel , cause deels Eroisieme guesse mondiale, 1982.

NYROP, alt, Israel , a country study 1979.

PER , Between battles and bellots, Israel military in politics, 1983.

PRY , Israel's nuclear arsenal, 1984.

BHATIA , Nuclear rivals in the middle east,1988.

WERBLOWSKY, Socity , polity and religion , in KRAEMER,

, ALON, Religion and government in the world of Islam, 1983, P. 233.

ISRAELI, The new wave of Islam, in International Journal 1979, P.369.

SIVAN, How fares Islam ? in the Jeursalem Quarterly 1979, n,13,P.33.

بحوث ودراسات

اجهزة مخابرات الكيان الاسرائيلي

تحرص الدار العربيه من خلال بحوثها ودراساتها على التعريف بطبيعة الكيان المعادى بتسليط الضوء الكاشف على مؤسساته واجهزته وخاصه الحساسه منها وتحديدا" العسكريه والعلميه والاقتصاديه والسياسيه وصولا الى استكمال السجل المعرفي لهذا الكيان.وانطلاقا من ذلك ارتأت الدار ان تشمل دراساتها هذه المره ((اجهزة المخابرات)) في الكيان الاسرائيلي وخاصه شعبة الاستخبارات العسكريه (امان) .

١. مقدمه :

قال الفيلسوف الدانماركي المشهور ((سيوف كيركجور)) مقوله كبيره والتي تبدو لاول وهله انها بسيطه وساذجه ولكنها تنطوى رغم ذلك على حكمه بالغه . لقد قال ((اننا نعيش ماهو امامنا . ولكننا نفهم الذى وراءنا)) فليس في وسع المرء ان يفهم المستقبل غير الموجود بعد ولكن يفهم فقط الماضي الذى خلفه وراءه وازاء ذلك فان على الاستخبارات في اى بلد كان ان تبذل جهودا" جباره ومستديمه في زمن السلم والحرب من اجل قلب الاتجاه الذى تنطوى عليه مقولة الفيلسوف الدانماركي اى فهم امور مستقبليه غير واقعه بعد ، نتيجه تمحيص وتحليل سيل المعلومات المتوفره لديها عن العدو ، اى ان الاستخبارات عباره عن جهد لفهم المستقبل قبل ان يتحول الى ماضي ، اوكتابة تاريخ المستقبل قبل ان يصبح المستقبل حدثا" تاريخيا" .

اللواء المتقاعد الركن / حازم حسن العلي

ان مهمه الاستخبارات هي مهمه قديمه ، حيث استخدم القاده العسكريون منذ القرون السحيقه الجواسيس من اجل الوقوف على حالة جيش الخصم ، قوته ، تسليحه ، انظمته وكذلك الاطلاع ، قدر الامكان على خطط القائد الخصم ، وكذلك بعث الملوك الجواسيس ايضا" للكشف عما يجرى في بلاط الملوك الاجانب .

والشيء الذى يميز الاستخبارات الحديثه هو توسعها الكبير وتحولها الى موسسه كبيره جدا" في معظم جيوش العالم وحيازتها على احدث الاجهزه المتطوره التي تساعدها على انجاز المهام الموكله اليها ، حيث لم يكن لدى الولايات المتحده الامريكيه عشيه الحرب العالميه الاولى — على سبيل المثال — موسسه استخباراتيه مركزيه تعطى الرئيس الامريكي تقديرات عسكريه وسياسيه عن الدول الاجنبيه وكان يعمل في ذلك مجموعه من الاشخاص ، وعشيه الحرب العالميه الثانيه لم يتغير الوضع في الولايات المتحده بشكل كبير ، اما في الوقت الحاضر فان المخابرات الامريكيه اصبحت كموسسه رسميه وتحولت الى منظمات استخباراتيه معقده جدا" يعمل فيها مئات الالوف من الاشخاص ويخصص لها من ميزانية الولايات المتحده بضعة مليارات من الدولارات ، وهذا التوسع لم يقتصر على الولايات المتحده فقط بل اتجهت الى هذا النحو اغلب بلدان العالم المتحضر وبلدان العالم الثالث .

ان خدمات الاستخبارات الاسرائيليه جيده وقد حققت نجاحات على مدى الاعوام الماضيه ولكنها ليست لا معه الى الحد الذى تصوره لنا الدعايه الاسرائيليه ، وقد سبق ومنيت باخفاقات رهيبه كثيره ابرزها التفسير الخاطئ للنوايا مصر وسوريا عشيه حرب عام ١٩٧٣ .

وقال موظف امريكي في وصف الاستخبارات الاسرائيليه مايلي ((لو فعلت اسرائيل فقط عشر ما تحاول الصحافه الاسرائيليه اقناعنا بانها فعلته لكانت بحاجه الى موازنه ماليه والى طاقه بشريه تعادل ماتملكه وكالة الاستخبارات المركزيه الامريكيه وشعبة الاستخبارات السريه السوفيتيه مجتمعين ، لكنها لا تمتلك مثل هذه الامكانيات بكل بساطه)) .

ان الاسرائيليين عادة يحيطون نجاحاتهم الاستخباراتيه بهاله كبيره من الدعايه كما حدث بالنسبه لقضيه القبض على ايخمان وحرب حزيران عام ١٩٦٧ .

٢ . اجهزة المخابرات الاسرائيليه وتطورها الخلفيه :-

في عام ١٩٤٨ اسست الحركه الصهيونيه الكيان الاسرائيلي في فلسطين وظهور الكيان تاسست وحدة المخابرات والامن المعروفه باسم جهاز المعلومات ((شيروت يديعون)) والمعروفة اختصارا" باسم ((شاى)) وكان ذلك الجهاز موجودا" قبل قيام الكيان الاسرائيلي وكان يعمل ويتجسس لصالح قوات المقاومه السريه الصهيونيه ((الهاجانا)) خلال سنوات الانتداب البريطاني على فلسطين ، وقد بدأ هذا الجهاز في الانغماس في عمليات مختلفه على نطاق العالم اجمع منذ تاسست ((الوكالة اليهوديه)) في عام ١٩٢٩ بعد انعقاد

المؤتمر الصهيوني في زيوريخ بسويسرا .

وكانت اهداف ((الشاى)) بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٤٨ هي تطوير عملية تاسيس الكيان الاسرائيلي المستقل والتسلل الى موسسات ((الانتداب البريطاني)) للقيام بعمليه تقييم للمواقف البريطانيه لصالح القياده الصهيونيه حتى يمكنها ان تتخذ المواقف الملائمه ، هذا الى جانب جمع المعلومات السياسيه التي يمكن استخدامها في الدعايه الصهيونيه ، واختراق الموسسات الحربيه وتلك المعاديه للصهيونيه في فلسطين والدول المحيطه بها ، ومراقبة كل الجماعات المتطرفه سواء اليمينيه او اليساريه داخل الجاليات اليهوديه في فلسطين او في الخارج للسيطره عليها ، واعطاء غطاء امني لتهريب السلاح وبرامج الهجره غير القانونيه التي كانت ((الهاجانا)) تقوم بها واخيرا" جمع المعلومات عن المانيا النازيه لضمان آمن قنوات الهجره السريه اليهوديه عبر اوربا قبل الحرب العالميه الثانيه واثنائها وبعدها .

وكانت ((الشاى)) تتكون من الاقسام التاليه :-

آ . التجسس السياسي ((ماحليكيت ميدينيت)) .

ب . مكافحة التجسس والامن الداخلي ((شيروت بيتاحون كلالي)) الشفاح .

ج . المخابرات العسكريه ((شيروت مودعين)) .

د . فرع البوليس في المخابرات العسكريه ((شيروت مودعين شيل سيت ارتزى)) .

هـ . مخابرات وآمن البحريه ((شيروت مودعين في بيتاحون كوحوت هايام)) .

واستمرت هذه الاقسام تعمل بعد قيام الكيان الاسرائيلي بشكل مستقل عن بعضها البعض نتيجه وصفها تحت آمرة الوزارات المختلفه التي كانت مسوءوله عن الجهاز الامني في الكيان الاسرائيلي ، وكانت هذه الاجهزه متنافسه فيما بينها وكثيرا" ماكانت تعمل بمفردها نتيجه الفوضى العامه التي كانت سائده في الكيان الاسرائيلي بعد حرب عام ١٩٤٨ وتاسيس الكيان الاسرائيلي ، وكانت تلك الاجهزه الخمسه ممثله في بعض العواصم الغربيه وتتنافس على نفس الجواسيس والعملاء والمصادر .

وفي عام ١٩٥١ قرر الكيان الاسرائيلي اعادة تنظيم الهيه الاساسيه لاجهزة المخابرات والامن الاسرائيليه بسبب جو الحسد المتبادل وعدم الثقه السائده بين اجهزة المخابرات المتعدده التي لم يكن يتم بينها اى تنسيق ، وكان المدعو ((ريفين شيلواح)) هو القوه الديناميكيه خلف تلك الخطوه ، فقد اعاد ((شيلواح)) تنظيم الاجهزه الاستخباراتيه وخدماتها طبقا" للاعمال والمسوءوليات المناطه بها ، ونتيجه ذلك ضم مخابرات البحريه وجهاز الامن ووحده مخابرات الطيران حديثه التكوين الى جهاز ((المخابرات العسكريه)) ((اجاف مودعين)) ((امان)) .

اما جهاز المخابرات السياسيه فقد تم فصله عن وزارة الخارجيه واعيد تنظيمه كجهاز ((المخابرات السريه)) ((موساد لموداعين وليتا فكيديم ميو حاديم)) او مايعرف الان باسم ((الموساد)) واسترجعت وزارة الخارجيه ((قسم البحوث)) اليها ، وقد بقيت ((الشين بيت)) على ماهي عليه فيما عدا تغييرات داخليه ، واصبح ((قسم المهمات الخاصه)) التابع لقسم التحقيقات في جهاز البوليس جزءاً" من الجهاز الجديد ((الشين بيت)) واسس ((شيلواح)) هيئة جديده سميت ((لجنة رؤوساء الاجهزه)) ((فاعادات راشي هاشيروتيم)) المعروفه باسم ((فاعادات)) وظيفتها تنسيق كل انشطة الامن والمخابرات في الداخل والخارج وتعقد هذه اللجنه اجتماعاً" مره كل اسبوعين وقد يتطلب الامر اكثر من ذلك. واعضاء لجنة ((فاعادات)) هم كل من :

مدير الموساد ، مدير المخابرات العسكريه ، مدير الشين بيت ، المفتش للبوليس ، المدير العام لوزارة الخارجيه ، مدير مركز البحوث والتخطيط السياسي التابع لوزارة الخارجيه ، مستشارو رئيس الوزراء للشؤون السياسيه والعسكريه والمخابرات والارهاب .

ويترأس اجتماعات هذه اللجنه ((مدير الموساد)) وبذلك يصبح مسؤولا مباشراً امام رئيس الوزراء .

واحتفظت اجهزة الامن والمخابرات الاسرائيليه بهذه البنيه ولم تتغير الى حد كبير خلال الحروب العربيه ـ الاسرائيليه عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ .

وبعد عام ١٩٧٣ قام الكيان الاسرائيلي بتشكيل ((لجنة اجرانات)) في نوفمبر عام ١٩٧٣ لتقصي الحقائق عن اسباب الفشل الذى لحق بقواتها المسلحه واجهزة مخابراتها ، واقترحت لجنه اجرائات في تقريرها الجزئي الذى قدمته في نيسان عام ١٩٧٤ باعادة تنشيط وتقويه منصب مستشار رئيس الوزراء لشؤون الامن والمخابرات ، واوصت اللجنه كذلك باجراء تغييرات في قوات الامن والمخابرات ، واوصت بانشاء وحدة بحوث وتقييم في الموساد واوصت كذلك برفع مستوى ((قسم البحوث التابع لوزارة الخارجيه)) وكان الهدف من ذلك هو تجنب الاعتماد الكامل على ((المخابرات العسكريه)) في التقديرات والتقييمات الكبرى ، واكدت اللجنه كذلك عن حاجة الاجهزه الى تنسيق افضل في العمليات في مجال جمع المعلومات ، ولم يطبع تقرير نهائي للجنه ، واذا كان قد طبع فهو لم ينشر على الملاء ابدا" ، وطبقا" لتوصيات التقرير الجزئي ((للجنه اجرانات)) فقد قام رئيس الوزراء بتعيين جنرال الاحتياط ((رحفعام زئيفي)) بمنصب مستشار خاص لشؤون الامن والمخابرات ، وهي وظيفه استشاريه بحته وليس لشاغرها اى مسؤوليات تنفيذيه ، وقام ((زئيفي)) بمهام وظيفته الجديده بالاضافه الى شغل وظيفه اخرى هي ايضا المستشار الخاص لرئيس الوزراء لشؤون مكافحة الارهاب ((العمليات الفدائيه)) وكان ((زئيفي))

كذلك مسؤول الاتصال بين رئيس الوزراء ومدير ((المخابرات العسكريه)) وكان عليه ان يبلغ رئيس الوزراء بالخلافات في وجهات النظر بين اجهزة الامن والمخابرات بعضها البعض ، وبدأ كذلك ((مركز البحوث والتخطيط السياسي)) التابع لوزارة الخارجيه ، العمل في يناير عام ١٩٧٥ ، ونفذت التغييرات في بنيه ((المخابرات العسكريه)) وتأسست وحده جديده في ((الموساد)) للبحوث والتقييم .

ان الاهداف الاساسيه لاجهزة الامن والمخابرات الاسرائيليه هي :

آ. الدول العربيه : قدراتها وامكانياتها وماتضمره اتجاه اسرائيل ، علاقاتها بالاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكيه والقوى الاخرى ، موسساتها الرسميه ومطلوها في العالم اجمع ، زعاؤها ، سياستها الداخليه ، سياستها اتجاه الدول العربيه الاخرى ، المعلويات ، الاستعدادات العسكريه ونظام معاركها والسخ .

ب. جمع المعلومات عن السياسه الامريكيه وقرارتها السريه ، لوكان هناك مثل تلك القرارات فيما يخص اسرائيل .

جـ. جمع المعلومات العلميه في الولايات المتحده الامريكيه والدول المتقدمه الاخرى .

د. تحديدات سياسه الحكومه اتجاه اسرائيل في الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقيه ، ومشكلة الهجره اليهوديه من هذه المناطق .

هـ. المراقبه الوثيقه للنشاط المعادى للصهيونيه في كل انحاء العالم .

و. جمع المعلومات للسياسيه والاقتصاديه في مناطق العالم الاخرى التي تهم اسرائيل ، مثل افريقيا .

كما تبذل اجهزة المخابرات والامن الاسرائيليه جهودا" خاصه لمناوءه الدعايه العربيه وتحييد النشاط المعادى للصهيونيه ، وخلال السنوات الاخيره كرس الاسرائيليون معظم نشاط عملياتهم لمقاتله الفدائيين العرب والقيام بسلسلة من الاغتيالات ضد كوادر المقاومه الفلسطينيه . ومهمة جهاز ((الموساد)) تنحصر في جمع المعلومات الخارجيه والقيام ببرامج عمل سريه خارج اسرائيل .

اما جهاز ((الشين بيت)) فهو مسؤول عن مكافحة الجاسوسيه والامن الداخلي وهي الجهه الحكوميه المسؤوله عن الامن الشخصي وامن الافراد ، وهي مسؤوله كذلك عن الامن الشخصي لرئيس الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين الكبار الاخرين ، وهي المسؤوله كذلك عن امن الموانئ ، والمطارات والمؤسسات العسكريه والصناعيه الاساسيه في اسرائيل ، وكذلك عن البعثات الاسرائيليه في الخارج ، وعن رحلات شركه طيران ((العال)) خارج اسرائيل . ولا تمتلك ((الشين بيت)) سلطة القبض على احد ، اذ يقوم ((قسم المهمات الخاصه)) التابع

((دارة التحقيقات)) بالبوليس بهذه المهمه ، وهو يعمل في هذا المجال في تعاون وثيق مع ((الشين بيت)) في اسرائيل، وفي داخل الاراضي المحتله التي تسيطر عليها قوات الدفاع الاسرائيليه تقدم ((الشين بيت)) الى العسكريين طلبات الاعتقال والبحث عن المطلوبين .

٣. شعبة الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه (أمان) :

هناك فرق بين عمل صنف الاستخبارات في الجيش وبين عمل بقية الصنوف الحربيه والخدميه حيث ان صنف الاستخبارات لا يقاد بواسطة قطعات في المعركه ، ولكن حربه مستمره طوال ايام السنه وهذه الحرب يمكنها في حالات السلم بالذات ان تقرر نتائج الحرب . كما ان هذا الصنف تُنشر اخفاقاته على الملاء وتسلط عليها الاضواء ، ولكن نجاحاته ، مهما كانت كبيره وهامه — تبقى محاطه بالغموض في الغالب ويطي من الكتمان والسريه وهو الصنف الذى يربى جنوده المجهولين على تقاليد الصمت والكتمان .

جميع هذه الامور واعتبارات اخرى كثيره تجعل من غير السهل كشف عمل اى جهاز استخبارات في جيوش العالم بصوره كامله حيث ان الكشف واماطه اللثام عن بعض اعمال الاستخبارات يؤدى الى الحاق الضرر الجسيم بامن الدوله ، ولذلك يجب ان يفهم ان الكلام عن الاستخبارات في اى بلد في العالم لا يمكن ان يتضمن كل القضايا التي يود القارىء الاطلاع عليها لان هناك الكثير من المعلومات تبقى طي الكتمان والسريه ولا يسمح بنشرها على الملاء لعلاقتها بامن البلد والبوح عنها ربما يؤدى الى الحاق ضرر جسيم بامن البلد .

ان جهاز الاستخبارات العسكريه في الكيان الاسرائيلي لم ينشأ من العدم عند قيام الكيان عام ١٩٤٨ مثل بقية الصنوف في الجيش الاسرائيلي ، فجذوره تمتد الى جهاز المعلومات التابع للهاجانا ((الشاى)) الذى عمل على مدى سنوات عديده قبل نشوء الكيان الاسرائيلي كهيئه استخباراتيه للمنظمات الصهيونيه التي كانت تعمل وتخطط لنشوء الكيان الاسرائيلي. وكان ذلك الجهاز يحتوى على عدة وظائف امنيه واستخباراتيه حيث كان يتكون من جهاز استخبارات وجهاز أمن ، وشرطة عسكريه تحقيقيه ، ومجموعات مباحثيه اخرى .

وشملت مجالات عمل جهاز ((الشاى)) قبل قيام الكيان الاسرائيلي جمع المعلومات ورصد تحركات البريطانيين والعرب واليهود الذين اعتبروا متعاونين خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، وكذلك شملت عملياتهم شراء الاسلحه والهجره غير المشروعه للاستيطان اليهودى في فلسطين .

وكان جهاز ((الشاى)) يستند في البدايه وبصفه رئيسيه على اعضاء ((الهاجانا)) العاملين في سلك الشرطه والموظفين اليهود الذين عملوا في خدمة السلطات البريطانيه حيث ساعد هؤلاء في جمع المعلومات المهمه ونقلوها الى ((الهاجانا)) والمؤسسات اليهوديه المسؤوله

وبمرور الوقت تطور جهاز ((الشاى)) اكثر واتسع نشاطه وتنوعت لديه وسائل الحصول على المعلومات وازداد نشاطه ليشمل جميع اوجه وميادين النشاط السرى بدءا" بالتنصت على مراكز الشرطه ومراكز خفر السواحل البريطانيه ، ومرورا" بحل الشفره والتصوير السرى للوثائق السريه وانتهاء باستخدام الوكلاء العرب الذين زودوه بالمعلومات عن النشاطات المعاديه لليهود داخل القرى العربيه والتنظيمات المسلحه العربيه في فلسطين كما كانت لهذا الجهاز نشاطات خارج فلسطين .

وبعد اقامة الكيان الاسرائيلي تم حل جهاز ((الشاى)) وشكلت عوضا" عنه هيئات استخباراتيه عديده ، شكلت في مجموعها مايعرف ((مجموعه استخبارات الكيان الاسرائيلي)) واستفاد الكيان الاسرائيلي من خبره الشخصيات التي تصدرت قياده جهاز (الشاى) ووضعوا على راس اجهزه الاستخبارات الجديده للكيان . ونقل الوكلاء الذين كانوا يعملون لصالح جهاز (الشاى) ليصبحوا تحت آمره ضباط الاستخبارات العسكريه وليعملوا في خدمته اما افراد جهاز (شاى) الذين كانوا يقومون بمهمه التنصت على البريطانيين فقد استغلوا خبرتهم وعينوا في وحده التنصت التابعه لصنف الاستخبارات حيث اخذوا يتنصتون على الاذاعات العربيه ، وقد ساعدت الخبره التي تم اكتسابها في عهد الانتداب وفي حرب ١٩٤٨ على بلوره مفاهيم واطر تنظيميه لدى صنف الاستخبارات ، ولا شك ان وجود البنيه الاستخباراتيه قبل قيام الكيان الاسرائيلي ساهم مساهمه كبيره وفعاله في قدره الاستخبارات العسكريه على تنظيم نفسها بسرعه لدى قيام الكيان الاسرائيلي والانتقال من الاهتمام بالبريطانيين والعرب واليهود الى رصد الجيوش العربيه النظاميه التي وقفت في حاله تاهب على خطوط اتفاقيات الهدنه .

وقد انيطت بشعبه الاستخبارات العسكريه الذى تم تشكيلها بعد حل جهاز (شاى) اربع مسؤوليات هي الاستخبارات الميدانيه ، وامن العمليات ، ومكافحة التجسس ، والتنصت والرقابه . واصبح الجهاز الجديد خاضعا" لشعبه الاركان في الاركان العامه الاسرائيليه وتولى قياده جهاز الاستخبارات العسكريه المدعو (ايسر باري) رئيس جهاز (شاى) سابقا". وبعد سته اشهر من تولي (ايسر باري) قيادة الجهاز قُدم الى المحاكمه ونحي عن منصبه نتيجه ارتكابه اعمال اعتبرت طائشه وغير مشروعه .

وفي شهر شباط عام ١٩٤٩ شكلت في العراق لجنه خاصه من قبل مجلس النواب العراقي لاستقصاء ظروف الفشل في حرب عام ١٩٤٨ وبعد عده اشهر قدمت اللجنه الى المجلس تقريرا" عن نتائج عملها وهو عباره عن وثيقه سريه صنفت ((سرى للغايه)) وكان للاستخبارات العسكريه الاسرائيليه مصلحه خاصه في الحصول على تلك الوثيقه ولم تمض عده اسابيع حتى وضع وكيل جهاز الاستخبارات الاسرائيليه نسخه من التقرير الكامل على مكتب المسؤولين عنه في تل ابيب واعتبر ذلك نجاح للاستخبارات العسكريه .

واكتشف رئيس جهاز الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه انه بمرور الوقت على انتهاء حرب عام ١٩٤٨ كلما نزل رجال استخبارات الميدان من برجهم العاجي ، واكتشف ان افراد الفرع المصرى في (رمات جان) لا يعرفون شيئا" عما يجرى في مصر باستثناء المعلومات التي ترد اليهم من وسائل الاتصال ، وعلى ذلك توجه رئيس الجهاز الى اعادة بناء منظومة جمع المعلومات التابعه لصنف الاستخبارات العسكريه وكانت المهمه التي وضعها نصب عينيه هي البحث عن مصادر معلومات جديده عن استعدادات الدول العربيه وعن نشاطاتها في الجبهات المختلفه ، وفي ضوء ذلك اتخذ سلسله من العمليات اهمها :-

آ. التطوير السريع للتنصت حيث شهدت قواعده توسعا" بشكل ملموس سواء في الميزانيات او في القوه البشريه واتخذت مفارز التنصت اماكن عديده لها في مختلف انحاء الكيان من اجل تحسين نوعيه الاستقبال والالتقاط ، ولم يعد التنصت مقصورا" على الاتصال اللاسلكي فحسب بل تعداه الى التنصت على الاتصالات السلكيه ، وقد سبق ان اثبت هذا الجهاز فعاليه كبيره في حرب عام ١٩٤٨ وكانت احدى المساهمات المهمه التي وفرها افراد التنصت التابعون للاستخبارات العسكريه في تلك الحرب هي تجهيز القياده الاسرائيليه بفحوى البرقيات المجفره التي تم فكها بين الجيب المصرى في الفالوجه وبين قيادته في رفح ، وساعدت تلك المعلومات التي احتوت عليها البرقيات المصريه المجفره على احباط محاولات تهريب الاسلحه والاعتده والمعدات من القطاع الى الجيب في الفالوجه .

ولم يقتصر التنصت على المخابرات اللاسلكيه ، ففي مطلع الخمسينات كان افراد المخابرات الاسرائيليه يحوفون جيدا" اهميه التنصت السلكي (عبر خطوط الهاتف) حيث كانوا يعرفونها من تجارب الاخرين ، فقد كان افراد المنسف يعرفون كيف التحم الغرب بالكابلات الروسيه عن طريق نفق في برلين ، وكيف التحم الالمان اثناء الحرب العالميه الثانيه بالكابل البحرى بين بريطانيا وامريكا ونجحوا في التقاط وفك المكالمات بين رئيس الحكومه البريطانيه تشرشل وبين الرئيس الامريكي روزفلت ، ولكن خلافا" للتنصت اللاسلكي فان التنصت على الاتصال عبر الاسلاك الهاتفيه محفوف بالمجازفه بحياة البشر فهي تقتضي اجتياز الخطوط والتوغل داخل اراضي العدو بغية الاتصال بخطوط الهاتف او التلغراف سواء كانت تلك الخطوط فوق الارض او تحتها ويتصل جهاز خاص بتلك الخطوط . كما يقتضي في تلك الحاله استمرار التوغل داخل الاراضي المعاديه بغيه الاصلاحات الروتينيه لاجهزة التنصت تلك واستبدال البطاريات كلما دعت الضروره الى ذلك .

ومن اعمال شعبه المخابرات الاسرائيليه بهذا الاتجاه والتي تم كشفها من قبل السوريين ان الاسرائيليين استطاعوا عام ١٩٥٤ من ارسال مفرزه داخل العمق السوري في هضبة

الجولان وتمكنوا من ربط جهاز تنصت على خطوط الهاتف الكائن فوق الارض والتي تربط المواقع السوريه ببعضها في مرتفعات الجولان وتم دفن جهاز التنصت تحت الارض اسفل العمود بعد ان تم ربط طرفه بسلك الهاتف في راس العمود ، وكان الافراد الذين كلفوا بالمهمه يدعون جميعهم او بعضهم/للتناوب بعملية توغل اخرى خلف الخطوط السوريه من اجل معالجة الجهاز او استبدال البطاريات ، ولاجل التأكد من ان استبدال البطاريات تم بشكل صحيح والخطوط التلفونيه سالكه في منتصف الليل او بعده ، كان هناك سبيل وحيد لايقاظ الجنود السوريين من نومهم وذلك عن طريق ((مجموعه الايقاظ)) الملحقه بالمفرزه حيث تقوم هذه المجموعه بالتقرب من المواضع السوريه وبعد استلام اشاره آمر المفرزه تفتح النار بصوره عشوائيه على المواضع السوريه ثم يفرون باتجاه الاراضي المحتله . وكانت تلك النيران توقظ الجنود السوريين من نومهم وهكذا تبعث الحياه في خطوط الهاتف وبهذه الطريقه تتمكن المفرزه من التأكد من ان البطاريات استبدلت بصوره صحيحه او تم تصليح العطب ان وجد بصوره جيده ومن ثم تعود المفرزه بعد اكمال واجبها . وقد استخدمت وسيله الفحص تلك لعده مرات ولم تحدث حوادث ، وكانت المكالمات السوريه تلتقط من قبل وحده التنصت الكائنه في احدى المستعمرات القريبه وتنقل المعلومات السريه والمصنفه على الفور الى القياده الاسرائيليه .

وفي نهايه عام ١٩٥٤ واثناء توغل المجموعه لاستبدال البطاريات فتحت عليهم النار من اتجاهات مختلفه وقامت قوه سوريه بيد وانها كانت تنتظرهم في المكان بالاطباق عليهم ووقعوا في الاسر ونتيجه التحقيق كشفوا هدف عمليه توغلهم وارادوا الوصول الى الجهاز بغيه تفجير اللغم الموقوت بداخله للحيلوله دون كشف اسرار الجهاز من قبل السوريين وفشلت الخطه لان الجهاز المفخخ الذى ثبت في الارض لم ينفجر بسبب الرطوبه التي اصابته .

وبعد حرب عام ١٩٧٣ اطلع المصريون بعض الصحفيين على اجهزة تجسس اسرائيليه وقعت في ايديهم ، وشاهدوا عمود تلفون اجوف نصب بداخله جهاز بث خاص يعمل بواسطه البطاريات وهو قادر على التقاط وارسال المكالمات الهاتفيه التي كان يجريها المصريون واوضح المصريون بان العمود الاجوف من الداخل وضع بدلا" من احد الاعمده الاعتياديه في خط الاتصالات العسكريه الرئيسيه الذى كان يؤدى الى المواقع العسكريه على ساحل البحر الاحمر .

ان استخدام الكيان الاسرائيلي لهذه الوسيله في التنصت على المكالمات السلكيه يدل دلاله اكيده على الاهميه التي توليها اسرائيل لهذه الوسيله من وسائل جمع المعلومات . وان الاجهزه التي تم العثور عليها ليست هي الوحيده التي استخدمت وربما هناك

اجهزه مزوده حاليا" على خطوط الهاتف التي فوق الارض او تحتها بين البلدان العربيه او بين المدن العربيه في القطر الواحد لم يعثر عليها ، لذلك على العرب ان يكونوا حذرين في اتصالاتهم السلكيه كما عليهم ان يكونوا حذرين اكثر في اتصالاتهم اللاسلكيه المفتوحه والمجفره حيث لدى الاسرائيليين امكانات جيده في حل الجفر وسبق ان كان باستطاعتهم حل الجفر العربيه عام ١٩٤٨ فكيف هم الان وقد تطورت اجهزتهم وازدادت خبرتهم بهذا الاتجاه ، ان اسرائيل تعطي هذه الوسيله من وسائل جمع المعلومات عن الدول العربيه اهميه خاصه حيث ان المعلومات التي تحصل عليها بهذه الواسطه لا تتأثر بتقييمات الاشخاص من وكلاء او رجال استطلاع ارضي او جوي وان موثوقيه المعلومات التي تحصل عليها بهذا الاسلوب تكون مساويه في بعض الاحيان بالوثائق التي تقع في يد الاستخبارات ، كما ان المعلومات الفوريه التي يمكن الحصول عليها بهذا الاسلوب يمكن استخدامها على الفور في الاغراض العملياتيه في الحروب .

ب. توسيع وتطوير جناح الاستخبارات في السلاح الجوى والذى تولى بصفه رئيسيه تحليل التصاوير الجويه ، كما كانت هناك عمليه بناء منظومه وقايه تابعه لصنف الاستخبارات ومهمتها الاساسيه ضمان أمن وسريه مصادر الجمع الجديده ومن جهه اخرى الحيلوله دون تسرب المعلومات عن تنظيم جيش الكيان الاسرائيلي الى العدو . ولهذا الغرض تم التركيز بشكل خاص على الاستخدام الصحيح والمنظم للرقابه من جهه وفروع أمن الميدان من جهه اخرى .

وفي عام ١٩٥٣ اعيد تنظيم جهاز الاستخبارات العسكريه الاسرائيلي وتحول جناح الاستخبارات ((مملن)) الى شعبه مستقله في الاركان العامه ((آمان)) بعد ان كان جزءاً من شعبه في الاركان العامه وذلك نتيجه احلال التنظيم العسكرى الفرنسي باجنحته الاربعه والذى يحتفظ للاستخبارات بمكانه مرموقه محل التنظيم البريطاني الذى كان يقوم عليه جيش الكيان الاسرائيلي . وقد جاء هذا التغيير ليُظهر ويبرز اهميه صنف الاستخبارات العسكريه ، وقد اعقب ذلك تطورات هامه حدثت في الصنف برمته وبمختلف فروعه واجهزته .

وقد حدد مدير الصنف انذاك ((يهوشفاط هيركابي)) مهمات الصنف وواجباته من خلال الرساله التي وجهها الى منتسبيه بهذه المناسبه وفيما يلي مقتطفات منها :

((ان تغيير الصفه سيترك اثره بمرور الوقت على اجنحه الاستخبارات وفروعها والتعديل لا يستوجب الاحتفال والفرح ، فهو يعني جسامه المسؤوليه ومطالبه كل العاملين في مجال الاستخبارات بزياده جهودهم . وبالنسبه لدولتنا التي تواجه منذ انشائها حصارا" من قبل الاعداء الذين يسعون الى القضاء عليها ، فان الاستخبارات تشكل الدرع الواقيه الاولى ، ويتعين علينا نحن الذين نعيش في قلب منطقه الشرق الاوسط والتي هي عرضه

للتقلبات والهزات الكثيره ان نحرف ونلم الالمام الجيد بما يجرى من حولنا ، ان هذه المهمه التي توفرها الاستخبارات تشكل بالنسبه لنا رساله الاستخبارات والركن الركين لامن الدوله ووجودها . ان هذه الرساله ستضعها دوما" نصب اعيننا للسير على هديها ، فلتكن اذاننا صاغيه لكل همسه وعيوننا مفتوحه وليكن عقلنا واسعا" منفتحا" لفهم وادراك الامور على حقيقتها ، لنطور في نفوسنا الحب للاستخبارات والغيره عليها ونواصل تأديه مهماتها)).

وعلى اثر تحويل الجناح الى شعبه استخبارات ابيطت بالشعبه مسؤوليه التخطيط واقامه وتطوير منظومه استخبارات وأمن الميدان في جيش الكيان الاسرائيلي الى جانب مسؤوليه الشعبه عن تقديم تقدير موقف استخباراتي ومعلومات استخباراتيه على مستوى رئاسه الاركان وكذلك اعداد البحوث والدراسات في المجال العسكرى الاستراتيجي والسياسي ، كما ابيطت بالشعبه مهمه سريه للغايه تتعلق بالعمليات ، وكذلك ابيط بالشعبه مسؤوليه الرقابه على الصحف والاذاعه والمراسلين والناطق بلسان جيش الكيان الاسرائيلي والاتصال بالملحقين العسكريين في اسرائيل .

نماذج في اساليب الخداع والمناوره للاستخبارات الاسرائيليه :

تباهى المسؤولون عن مخابرات العدو وفي اكثر من مناسبه بكيفيه التمويه على المخابرات المصريه مثال على ذلك قصه المدعو محمد وهو احد افراد قبيله تقيم في النقب في الخمسينات له قريب يعمل موظفا" له علاقات صداقه مع عدد من الضباط المصريين في قطاع غزه ، وبطريقه ماجُند محمد وقربه الموظف في خدمه الاستخبارات الاسرائيليه وزودا بجهاز ارسال ، وكانا يرسلان معلومات هامه بواسطته الى المسؤولين عن تشغيلهما في اسرائيل ، وكانا يذهبان الى اسرائيل في مواعيد محدده او عندما كان يحدث خلل في الجهاز وفي احدى الليالي عندما كانا عائدين الى قطاع غزه ليلا" بعد ان اتصلا بالمسؤول عن تشغيلهما سمعت اصوات طلقات ناريه ، واعتقد المسؤولون عن تشغيلهما في قاعده الاستخبارات الاسرائيليه ان الاثنين وقعا في كمين مصرى او انهما قد قتلا ، ولكن بعد انقضاء ساعات وقعت مفاجاه فقد تم استلام رساله لاسلكيه من العميلين تقول ((وصلنا بسلام)).وفي وقت لاحق اوضح محمد في رساله لاسلكيه بالشفره ((لقد اصطدمنا بكمين)) ولكن نجحنا في التخلص منه ، سوف نأتي الى المقابله كالمعتاد)) لم يتصور محمد وقربه الموظف ان قائد قاعده الاستخبارات في المنطقه قد حصل على تفاصيل الحادث الذى تعرضا له في تلك الليله من مصادر اخرى ، كيف وقع الاثنان في ايدى رجال الاستخبارات المصريه حيث نقلا للمثول امام قائد المخابرات المصريه في قطاع غزه المقدم مصطفى حافظ وكيف جرى التحقيق معهما واعترفا بكل شيء وكيف سلموه الجفره وجهاز الارسال الذى كان بحوزتهما ووافقا على التعاون مع المخابرات المصريه . وطلب المقدم حافظ منهما ان يتظاهرا بمواصلة العمل في خدمه المخابرات الاسرائيليه

بغيه اختراقها .

ذهب محمد الى المقابله مع الاسرائيليين وحده ، وكان يكثر من التفاخر بانه جـــــــرئ ، ويقظ ويقول بانه بفضل هاتين الصفتين استطاع ان يخلص نفسه وقريبه من رجال المخابـــرات المصريه وكان مسؤول المخابرات الاسرائيلي يعرف آمر ((العميل المـــــزدوج)) .

وعلى مدار سنه كامله استمرت الاتصالات مع محمد وقريبه عبر اللقاءات الحدوديه بالقـــرب من غزه وفي مرحله محدده تقرر في اسرائيل العمل على نقلهما الى القاهره ، وقيل لمحمـــد ((اذا انتقلت الى القاهره فسوف نوكل لك تنفيذ مهمه كبيره وبالطبع سوف نزيد من آجرك)) .

وافق المقدم مصطفى حافظ على نقل الاثنين الى القاهره بغيه معرفه المهمه التي يعدهما الاسرائيليون لمحمد وقريبه في القاهـــــــره .

وبعد ان تم تجهيز محمد وقريبه بجهاز ارسال متطور رحلا الى القاهره من دون ان يشـــعرا بان هويتهما المزدوجه معروفه للاستخبارات الاسرائيليه .

وقد انتظر المصريون في القاهره ذلك اليوم الذى فيه تكلف الاستخبارات الاسرائيليه العميلين بالمهمه الخاصه ، ولم يتأخر مجئ ذلك اليوم فقد طلب من محمد وقريبه الاتصال بـ ((مخبـــر هام)) في القاهره يحمل في صفوف الاستخبارات الاسرائيليه ، وهذا الاتصال سيكون بدايـــه للعمليه الكبيره ولم يكشف عن جوهر تلك العمليه حتى يومنا هذا وكل مايمكن كشفه هـــــو ان المخابرات المصريه وقعت في الفخ ، فمنذ اليوم الاول الذى ابلغ فيه الاثنان المصريين بشأن هويه ((المخبر الهام)) للاسرائيلين ، شرعت قوات الامن المصريه في القيام بحملـــه اعتقالات واعتقلت المئات واعتبرت الاستخبارات الاسرائيليه ان العمليه ناجحه وحظـــي افراد قاعده الاستخبارات في الجنوب ، بتقرير خاص من رئيس الكيان الاسرائيلـــي .

أن ايراد هذه القصه التي جاءت على لسان الكاتب الاسرائيلي يهدف الى تسليط الضوء على الدس والكذب والخداع الذى دأبت على نشره اجهزه الاعلام الاسرائيليه بغيه التأثير على القارئ والمستمع العربي ، حيث أن سرد مثل هذه القصه رغم نقاط الضعف الذى تحويها والكـــذب الظاهر فيها الغرض منه تصوير قدره الاستخبارات الاسرائيليه الفائقه مقابل ضعف الاستخبارات العربيه المقابله ، حيث ان من ابسط الامور المعروفه لدى اجهزه الاستخبارات في دول العالم والاستخبارات المصريه معروفه بكفائتها ـ ان افراد هذا الجهاز عندما يضعون ايديهـــم على بدايه عمليه تخريبيه اوتجسسيه اوماشابه فانهم يسيرون مع العمليه ولا يعتقلـــون الرأس المدبر لها فور معرفتهم له بل يستمرون بالمراقبه السريه والبحث والتحرى ودس عناصـــر تابعه للجهاز بين شبكه العملاء ان امكن ذلك والغرض من ذلك الاطلاع على تفاصيل العمـــل الاجرامي ومعرفه اكبر عدد من المشتركين في العمليه ، وعندما تنضج الطبخه يقوم الجهـــــاز باعتقال افراد الشبكه التجسسيه اوالتخريبيه والقاء القبض على كافه المستمسكات التي تدين افرادها ، هذه امور معروفه وواضحه لكل ذى بصيره اما الكاتب آلاسرائيلي فيدعي ان

المخابرات المصريه قامت بالقاء القبض على مئات الاشخاص بمجرد ان اوعزت المخابـــرات الاسرائيليه الى عميلها بالاتصال ((بالمخبر الهام)) الذى لم تذكر اسمه لحد الان .

ان ذلك يؤكد ان الغرض من سرد هذه الحادثه وامثالها هو الدس والتضليـــل وتشويه سمعه الاستخبارات العربيه مقابل الدعايه لاجهزه المخابرات الاسرائيليه ، وعلـــى القارئ الكريم ان يمحص ويدقق كل ماتنشره وسائل الاعلام الاسرائيليه لغرض تمييز الخبيـــث من الاخبار لئلا يقع القارئ تحت طائله الدعايه الاسرائيليه الموجهـــــــه .

دور الاستخبارات الاسرائيليه في ((العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦)) :ـ

كانت الاستخبارات الاسرائيليه شريكه في الخطط التي مهدت للحرب ، فالاتفاقيات المتعلقه بتزويد اسرائيل باسلحه فرنسيه تمت بين هيئات تمثل الاستخبارات الاسرائيليه وفرنسا وذلك من اجـــل تجاوز ضروره تقديم تلك الاتفاقيات الى البرلمان الفرنسي للمصادقه عليهـــــــا .

وقد ادت التحضيرات للحرب الى ارساء علاقات تعاون بين خدمات الاستخبارات الفرنسيه والاسرائيليه وكانت تقديرات الاستخبارات الاسرائيليه لتلك الحرب انها ستؤدى الى استتباب الهدوء في مناطـــق الحدود وسقوط نظام عبد الناصر في مصر .

كما بذلت الاستخبارات الاسرائيليه جهودا" كبيره قبل بدء الحرب الغايه منها تزويد القـــوات الاسرائيليه بصوره استخباراتيه واضحه عن وضع المصريين في سيناء وكذلك مباغته العدو عـــن اتجاه الهجـــــــــوم .

وعلى اثر ذلك بدأت الاستخبارات الاسرائيليه بنشر اخبار عن دخول الجيش العراقي الى الاردن وان اسرائيل تنوى مهاجمه الاردن كما شملت خطه المخادعه تلك صفوف جيش الكيان الاسرائيلـــي من قبل شعبه آمن الميدان وكان التعليل الذى اعطى الى عمليه تجنيد الاحتياط هو انه مـــن المحتمل نشوب حرب مع الاردن بسبب دخول الجيش العراقي للاراضي الاردنيه وبسبب انضمـــام الاردن للقياده السوريه المصريه ، حتى ان عمليه التضليل تلك نجحت في تضليل خدمـــات استخباراتيه اجنبيه والملحقين العسكريين في اسرائيل والمراقبين الدوليين ، وكان ضمن الذيـــن فوجئوا موظفون كبار اسرائيليـــــــون .

وفي ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ تلقت اسرائيل رساله من الرئيس الامريكي ايزنهاور اعرب فيها عن قلقـــه ازاء عمليه التعبئه العسكريه في اسرائيل وقد بين في رسالته بانه وفقا" للمعلومات التي لديـــه فان ليس صحيحا" ان وحدات عراقيه دخلت الاراضي الاردنيه ، مما يوضح ان اسرائيل استطاعـــت اخفاء نواياها الحربيه عن الولايات المتحده الامريكيه . وهكذا استطاعت المخابرات الاسرائيليـــه توجيه الانظار نحو احتمال نشوب حرب مع الاردن بينما كانت الاستحضارات والخطط هي الدخـــول في حرب مع مصـــــــــر .

ونتيجه العدوان الثلاثي تحققت التقديرات المسبقه للمخابرات الاسرائيليه حول نتائج الحـــرب

بما له علاقه بتهدئه الحدود ، ولكن لم تتحقق توقعات رجال البحوث في الاستخبارات الاسرائيليه بشأن سقوط نظام عبد الناصر وعلى العكس من تلك التوقعات ادى الاعتداء الثلاثي الى صعود مكانة الرئيس عبد الناصر في العالم العربي والى تدعيم الشعور بالعظمه والقوه لدى الزعامه المصريه .

ومع ذلك فقد خرجت الاستخبارات الاسرائيليه من الحرب رابحه ، حيث ان تلك الحرب منحتها زخما" كبيرا" لتطوير نظام تجميع المعلومات كما عززت تلك الحرب مكانة قسم البحوث في الاستخبارات الاسرائيليه ، كما استمر تعاظم الصف طيله السنوات التي اعقبت الحرب وبلغ اوجه في حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، حيث تم في تلك الفتره الزمنيه ارساء اساس متين للتعاون بين المخابرات العسكريه الاسرائيليه وبين خدمات استخباراتيه اجنبيه — اعتقد ان الكاتب اليهودى يعني بتلك الدول الاجنبيه ايران وتركيا واثيوبيا — وقد تطور هذا التعاون على مر السنين ، كما نما التعاون الاستخباراتي بين اسرائيل وفرنسا وبريطانيا والمانيا الغربيه بعد ان وضح لهاتين الدولتين مقدره الاستخبارات الاسرائيليه كما اقيم في تلك الفتره الزمنيه اتصال مع المخابرات الامريكيه — رغم ان العدوان الثلاثي قد تم بدون اطلاع المخابرات الامريكيه على سر خطة العمل له — وقد قام الامريكيون بتطوير موقف من الاحترام والتقدير نحو المخابرات الاسرائيليه التي كانت قد اثبتت مقدرتها في النصف الاول من الخمسينات في مجال المعلومات والتقديرات ، وقد اكتشف الامريكيون ان منطقه الشرق الاوسط غير ((مغطاة)) من قبلهم لذا فانه يتعين عليهم ان يعتمدوا والى حد كبير على تقديرات الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه ((امان)) .

وقد عززت حرب حزيران ١٩٦٧ من مكانة شعبه الاستخبارات العسكريه ((امان)) في جيش الكيان الاسرائيلي وخارجه واعطت دفعه هائله لتطوير الصف ، وقد تم زياده الامكانيات الموضوعه تحت تصرفها ، الاموال ، الاجهزه المتطوره ، القوه البشريه المتعينه ومن الطراز الاول الى حد كبير .

وصدرت كتب اسرائيليه عديده — ترجمت مع الاسف الى العربيه — تشيد بمنجزات الاستخبارات الاسرائيليه ودورها في كسب تلك الحرب — التي لم تحارب فيها الجيوش العربيه لاسباب لا مجال للخوض فيها في هذه الدراسه — مما اوحت الى المطلعين ان الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه ، تعلم بكل مايجرى في الدول العربيه وصورت الامور لرجل الشارع المطلعين بانها تعرف عن الدول العربيه اكثر مما يعرفه ابناء تلك الدول عن دولتهم والحقيقه هي خلاف ذلك بالطبع لان الحرب في تلك الفتره الزمنيه التي اعقبت حرب حزيران صعقوا على غير عادتهم من هول الصدمه والخساره ، صحيح ان الاستخبارات الاسرائيليه كانت لديها معلومات دقيقه وموثوقه عن بعض الامور في بعض الدول العربيه من مصادر معلوماتها المتنوعه الخاصه ومن مصادر بعض الدول الغربيه والامريكيه المتحالفه معها واستطاعت الاستخبارات الاسرائيليه توظيف تلك المعلومات بشكل يوحي الى القارئ العربي بانها تعرف اكثر بكثير من الشئ الذى تعرفه

حقا" ، ومن امثله ذلك ان الاسرائيليين استطاعوا ان يحصلوا على سجل الضباط في القوات المسلحه المصريه بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وكان المحقق الاسرائيلي الذى يحقق مع الاسرى المصريين يستدعي اثناء زيارته لعقر الاسرى الضباط المصريين لاستجوابهم وكان يحرص قبل استجوابهم على معرفه ماكتب عنهم في سجل الضباط حيث كان يضع السجل تحت المضده ويباشر بطرح الاسئله ((البريئه)) ثم يسأل بعد ذلك وبدون اشعار مسبق ((لماذا حصلت على تقدير واطئ في الكليه الحربيه ؟ كان مثل هذا الضابط الذى يجرى استجوابه يصاب بالدهشه والذهول ثم يفاجئه بسؤال اخر وهكذا تستمر العمليه وتتكرر الاسئله المستوحاه من السجل الذى امامه وبالنتيجه كان الضباط يخرجون من الاستجواب بعد ان يسردوا كل مالديهم من المعلومات نتيجه قناعتهم من ان الاسرائيليين يعرفون كل شئ عنهم وعن مصر ، وقد امكن للاسرائيليين بهذه الطريقه الحصول على معلومات قيمه عن القوات المسلحه المصريه من الاسرى كما استطاعوا ان يدخلوا في عقول هؤلاء الاسرى بان الاسرائيليين لديهم معلومات دقيقه ومفصله عن بلدهم وعن قواتهم المسلحه .

وكان لنجاح شعبه الاستخبارات العسكريه في حرب حزيران ان اعطيت لتقييماتها اهميه كبيره في المجال السياسي ايضا" ، وكان يتم استدعاء رئيس الشعبه ((اهرون ياريف)) بين حين واخر للمشاركه في اجتماعات حكومة الكيان الاسرائيلي من اجل اطلاع الوزراء على مايجرى في الاقطار العربيه من استعدادات ، وكانت تقييماته وتقاريره يؤخذ بها الى حد كبير في تخطيط السياسه الاسرائيليه رغم معارضه جهات اسرائيليه عديده تدخل الاستخبارات العسكريه في المجال السياسي حيث ان انغماسها في المجال السياسي يتم على حساب الاهتمام بالتقديرات العسكريه واعتبروا ذلك فيما بعد احد عوامل فشل الاستخبارات العسكريه في التنبوء بيوم بدء حرب رمضان عام ١٩٧٣ .

ان اسرائيل تعتمد على المعلومات الى درجه كبيره في استخباراتها وتستخدم وسائل مختلفه لجمع هذه المعلومات واستخدام الجواسيس هو احد هذه الوسائل فقط ، حيث اتضح خلال حرب حزيران ١٩٦٧ انه كانت في حوزه اسرائيل ملفات خاصه تتضمن لوائح باسماء جميع الضباط المصريين واقاربهم وتم جمع المعلومات من خلال معلومات عن الوفيات في الصحف العربيه ، كما روى احد اعضاء الوفد السوري الى مؤتمر وزراء الخارجيه والدفاع العرب الذى عقد في الكويت انه اثناء الغاره التي شنها الطيران الاسرائيلي على منطقه حماه في سوريا في ايلول عام ١٩٧٢ ، كانت الطائرات الاسرائيليه تطير على ارتفاع منخفض فوق منطقه المعرض الدولي حيث كانت هناك مهاراه لكره القدم وقد ساد الهلع صفوف المتفرجين خشيه ان تلقي الطائرات الاسرائيليه قنابلها فوق رؤوسهم ، ولكن المسؤولين السوريين لاحظوا ان الطائرات الاسرائيليه اتجهت باتجاه الحمه وفتحت نيران مدافعها على الطابق الرابع في احد العمارات السكنيه المرتفعه هناك واكتشفوا بعد الغاره واستنادا" الى افاده حارس العماره ان احدى المنظمات الفدائيه استأجرت قبل عامين الطابق الرابع من نفس العماره .

وخلال حرب الاستنزاف ١٩٦٩ قامت الاستخبارات الاسرائيلية بتوفير معلومات استخباراتية دقيقة لبعض العمليات التي شنها الطيران الاسرائيلي او قام بها بعض افراد الكوماندو الاسرائيلي ضد أهداف في عمق الاراضي المصرية مثل غارة الدروع في ٩/ ايلول وعملية خطف الرادار السوفيتي الحديث من منطقة الغردقة ليلة ٢٥/٢٦ كانون اول عام ١٩٦٩ والتي كان لها تأثير كبير على القيادة المصرية والتي تمت استنادا الى معلومات استخباراتية دقيقة ٠

وفي محاولة لتقليص المخاطر الكامنة في جمع المعلومات حول ما يجرى في الجانب المصرى في حرب الاستنزاف قدر الامكان عرض اخذ هواة الطائرات فكرة تركيب آلة تصوير من نوع " روبوت" على طائرة اطفال صغيرة بسيطة تعمل بموجات الراديو سبق ان شاهدها تباع في الاسواق الامريكية كلعب اطفال لا يتجاوز ثمنها في ذلك الوقت ١٢٠ دولار ، وقد تحمس للفكرة رجال الطيران وبدأوا بتجربتها حيث ارسلت فوق الاراضي المصرية وهي تحمل الة تصوير وعادت الى قاعدتها حاملة معها تصاوير واضحة حول ما يجرى على ضفة القناة الغربية ، وعلى اثر وخلال تلك الفترة تم ولادة اول طائرة اسرائيلية تطير بدون طيار استخدمت من قبل الاستخبارات الاسرائيلية فيما بعد على نطاق واسع في العمليات العسكرية على جبهات مختلفة خلال وبعد حرب رمضان ١٩٧٣ ٠

اهم النشاطات التجسسية والتخريبية التي نفذتها شعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية خلال الفترة من عام ١٩٤٨ والى ما قبل حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ٠

لم يقتصر نشاط الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية على التجسس وجمع المعلومات وزرع الجواسيس والوكلاء في الاقطار العربية وتهجير يهود الدول العربية بل وتشكيل المجموعات اليهودية المسلحة كما حدث في العراق وسوريا ، فلقد تخطى هذا النشاط ليشمل عمليات التخريب والاغتيال والقتل . ان قائمة هذه النشاطات طويلة ، ولا يتسع المجال هنا لسردها جميعا بل سنكتفي بذكر بعضها لنبين مدى الخطر الكامن في هذا النشاط الذى تمارسه اجهزة مخابرات الكيان الاسرائيلي ٠

* ارسال وحدة تخريب تابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية الى مصر عام ١٩٥٤ للقيام بعمليات تخريب ضد المصالح الاجنبية في مصر والتي شملت القاهرة والاسكندرية ، وكانت الشبكة بقيادة ابراهام دار وهو ضابط في الاستخبارات العسكرية وصل مصر عام ١٩٥١ حاملا جواز سفر بريطاني باسم جون وارليج ٠
* اغتيال الشهيد القيد مصطفى حافظ ضابط المخابرات المصرية في غزة في شهر تموز ١٩٥٦، بواسطة طرد ناسف ٠
* اغتيال الملحق العسكرى المصرى في عمان عام ١٩٥٦ بواسطه طرد ناسف ارسلته الجاسوسه الاسرائيليه كرميلا التي عملت في الاردن من عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٧١ ٠
* ارسال وحدة من افراد المظليين تعمل بامرة الاستخبارات العسكرية في مهمات تجسسية في مرتفعات الجولان عام ١٩٥٤ وتركيب اجهزة تصنت وارسال ٠

* ارسال ضابط يعمل في شعبة الاستخبارات العسكرية برتبة رائد هو (جوزاريه) الى مصر عام ١٩٦١ ، للقيام بنشاطات تخريبية كارسال الطرود الناسفة الى العلماء الالمان الذين كانوا يعملون في صناعة الصواريخ والطائرات في مصر وقد نشط هذا الجاسوس تحت ستار انه مواطن الماني يدعى (فولفباخ لوتس) وانه من هواة تربية الجياد الاصيله ٠
* زرع الجاسوس الاسرائيلي ايلي كوهين في سوريا عام ١٩٦٢ الذى سبق له ان عمل كمترجم في شعبه الاستخبارات العسكريه "امان" كما انه انخرط في مجموعه التخريب التي ارسلت الى مصر واكتشفت عام ١٩٥٤ وساعد افرادها على الاختفاء والتنقل داخل مصر ، وفي عام ١٩٥٧ ، غادر مصر وهاجر الى فلسطين المحتله ٠
* تدبير حادث هروب طائره الميج العراقيه عام ١٩٦٦ : هذا الحادث خططت له ونفذته شعبة الاستخبارات العسكرية "امان" بواسطة منير روفائيل ٠
* تنفيذ سلسلة من عمليات الاغتيال ضد قادة المقاومه الفلسطينية بعد عام ١٩٦٨ شملت غسان كنفاني وابو علي سلامه وابو سيف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ٠

دور الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في حرب تشرين ١٩٧٣ :

كانت الاستخبارات العسكريه الاسرائيلية عشية حرب رمضان هي الاقوى والاكثر تأثيرا بين عناصر اجهزة الاستخبارات الاسرائيلية المتنوعة " الموساد ، قسم الابحاث في وزارة الخارجيه " وكانت الجهاز الوحيد الذى يتولى رسم الصورة الاستخباراتية - العسكرية والسياسية - الشاملة التي تعرض على حكومة الكيان الاسرائيلي ، ونتج ذلك بسبب عدم دعم الكيان الاسرائيلي لقسم الابحاث في وزارة الخارجيه بشكل يمكنها من تقديم تقديرات سياسيه مستقلة خاصة بها الى رئيس الوزراء ، بينما اقتصر نشاط اجهزة " الموساد " على جمع المعلومات وكان نشاطها في مجال البحوث ضئيلا جدا ٠

وهكذا بقيت التقديرات الاستراتيجية لقسم البحوث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية " امان" السنوية والنصف سنوية والتي تقدم الى الحكومة هي المعول عليها سواء على الصعيد السياسي او في المجال العسكرى ، واستمر هذا الوضع حتى حرب رمضان ١٩٧٣ ٠

كانت خطه الهجوم المصريه المعده لعبور القناه كما نفذت في حرب رمضان معروفه بخطوطها العامة لدى الاستخبارات العسكريه الاسرائيلية منذ اواخر عام ١٩٧١ ، حيث دأبت الجيش المصرى على اجراء تمارين اجمالية سنويه بقطعات منذ عام ١٩٦٨ ، وقد مكنت تلك التمارين نتيجه متابعتها الدقيقه من قبل قسم الابحاث في شعبه الاستخبارات من رسم صوره للمفهوم المصرى لعمليه العبور قناه السويس ، وتشخيص تعبئة العبور بشكل تفصيلي دقيق ومعرفه حجم القوة التي ستقوم بالعبور في الصفحه الاولى والثانيه والجدول الزمني المخمن ، وحجم الاسناد النارى للعمليه وفعاليات وسائل الدفاع الجوى والخ من المعلومات المهمه والخاصه بالعمليه ٠ وخلال النصف الاول من

عام ١٩٧٣ كانت الخطه معروفه بأكملها للاستخبارات باستثناء عنصر واحد مهم لم يكن معروفا لدى العاملين في قسم الابحاث وهو المكان الذى تتوقف فيه القطعات المصريه بعد عبورها قناه السويس ومسك رؤوس الجسور على الضفه الشرقية منها .

كانت خطه الهجوم المصريه المعده في سيناء كما نفذت عشيه حرب رمضان ٧٣ معروفه بخطوطها العامه لشعبه الاستخبارات العسكريه منذ اواخر عام ١٩٧١ حيث دأب الجيش المصرى على اجراء تمارين اجماليه سنويه بقطعات منذ عام ١٩٦٨ . وقد مكنت المتابعه الدقيقه لتلك التمارين من جانب وكالات جمع المعلومات التابعه للاستخبارات العسكريه الاسرائيلية لمراحل اداره تلك التمارين قسم الابحاث في شعبه الاستخبارات من رسم صوره للمفهوم المصرى لعقلية عبور قناه السويس وتشخيص تعبئة العبور بشكل تفصيلي دقيق ومعرفه حجم القوه التي ستقوم بالعبور في الموجه الاولى والثانيه والجدول الزمني المخمن وحجم الاسناد الناري للعمليه ، وفعاليات وسائل الدفاع الجوى ... الخ من المعلومات المهمه والخاصه بالعمليه .

صحيح ان قسم الابحاث في شعبه الاستخبارات توصل الى معرفه خطه الهجوم المصرى في سيناء ولكن القسم لم يستطع تقييم جدية التهديدات التي اطلقها المسؤولون المصريون باستخدام القوه لكسر حاله الجمود السياسي ، ان حقيقه انتهاء (عام الحسم) دون اى عمل اقنع قسم الابحاث في شعبه الاستخبارات بان القياده المصرية توصلت الى استنتاج مؤداه بانها لم تحقق الشهره والمجد بوسيله الحرب في ظل الوضع الحالي وقد اخذ هذا التقييم يتبلور بالتدريج من خلال تحليل نشاطات وافعال ومواقف السلطات المصريه ومن خلال طرد الخبراء السوفييت من مصر وقد عبر عن المتحدثون المصريون تصفيه الوجود السوفيتي في مصر على انه خطوه اولى على طريق الحرب ، بيد ان هذه الخطوه فسرت من قبل شعبه الاستخبارات الاسرائيليه على انها علامه اخرى على عدم اعتزام مصر القيام بعمل عسكرى لتصفيه العدوان .

ومن خلال الصور المتراكم لدى الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه من خلال التقارير وعمليات الرصد اليوميه للصحف والاذاعات العربيه توصلت الى استنتاج (بان مصر لا تستطيع في ظل المعطيات الاساسيه الحاليه للحظر السوفيتي على ارسال الاسلحه والتدفق البارز في ميزان القوى الجويه شن الحرب).

وهكذا اخذت منذ مطلع منتصف عام ١٩٧٢ تسيطر على اسرائيل وجهه النظر القائله بان طرد المستشارين السوفييت من جهه والتفوق الحاسم لجيش الكيان الاسرائيلي من الجهه الثانيه ادى الى تقليص احتمالات الحرب الى حد كبير وقد سيطرت وجهه النظر تلك على القياده السياسية ومختلف مستويات القياده في جيش الكيان الاسرائيلي .

وكان اول مظهر علني لقرار مصر شن حرب شامله وفي وقت مبكر قدر الامكان تتجلى في التغيير الذى احدث في اكتوبر عام ١٩٧٢ على القياده العليا للقوات المسلحة المصريه وكان ابرز مافي هذا التغيير هو اقصاء الفريق محمد احمد صادق (الذى عارض خيار الحرب) وتعيين المشير احمد اسماعيل بدلا

منه كوزير للحربيه والذى يشارك السادات رأيه من انه بالنسبه لمصر لابد من شن الحرب حتى وان جاءت النتائج العسكريه غير قاطعه وانه يجب الاقدام على هذه الخطوه بوسائل القتال الموجوده في حوزة القوات المسلحه وبالاضافه الى ذلك اتخذت عده اجراءات اتضحت فيما بعد انها نجمت عن قرار شن الحرب ، وهي القرارات التي تسربت الى علم شعبه الاستخبارات الاسرائيليه ولكنها لم تستوعب في حينها على انها بوادر ومؤشرات على القرار المتخذ لشن الحرب وهذه القرارات هي :-

١) عمليات تحصين واسعه في منطقه القناه وعلى الاخص استكمال السواتر الترابيه على طول الضفه الغربيه للقناه بهدف تعزيز القدره الدفاعيه للقوات المسلحه في حالة شن اسرائيل لحرب وقائية اذا ماعرفت نوايا الحرب لدى المصريين .

٢) جرت عمليات جس نبض اوليه لدى السوريين بهدف وضع استراتيجيه مشتركه ومن اجل ذلك اوفد وزير الحربية الجديد المشير احمد اسماعيل (الذى كان في تلك المرحلة أحد القلائل الذين اطلعوا على سر قرار الحرب) الى دمشق وفي المحادثات التي عقدها في دمشق في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ اوضح للسوريين بانه ينبغي عليهم من وجهه نظر مصر الاحجام عن استفزاز اسرائيل في تلك المرحله لان هذه الاخيره تبحث عن ذريعه فقط لضرب سوريا ومصر ، واقترح اقامه تنسيق سياسي واستراتيجي يتصدره شن حرب شامله بصوره مشتركه في موعد متأخر وبعد استكمال الاستعدادات المطلوبه .

وكانت التقديرات التي توصلت اليها شعبه الاستخبارات الاسرائيليه بنتائج تلك الزياره هي ان اسماعيل اخفق في مهمته نظرا لان السوريين رفضوا المفهوم العام الذى عرضه عليهم ، واتضح فيما بعد ان مصر لم تعتبر موقف سوريا على انه موقف نهائي وواصلت الجهود من اجل وضع استراتيجيه مشتركه مع سوريا وقد تكللت جهودها بالنجاح في نهايه الامر حيث وافقت سوريا خلال المباحثات التي جرت في شهر نيسان ١٩٧٣ على شن الحرب مع مصر ضد اسرائيل قبل نهايه عام ١٩٧٣ .

٣) بذل المساعي لتسويه الخلاف مع الاتحاد السوفيتي حيث اتضح ان المحادثات التي اجراها مستشار الامن القومي المصرى (حافظ اسماعيل) مع زعماء الاتحاد السوفيتي في شهر كانون الثاني ان اللسونييت كانوا على استعداد للتوقيع على صفقه اسلحه جديده لعده سنوات مع مصر ، وكان تقدير الموقف من قبل الاستخبارات الاسرائيلية بان السوفيت سيرفضون طلب تزويد مصر باسلحه بامكانها مهاجمة العمق الاسرائيلي بيد انه اتضح بعد عده شهور لشعبه الاستخبارات بان هذا التقدير كان مغلوطا وفي النصف الثاني من عام ١٩٧٣ وردت معلومات الى قسم الابحاث الاسرائيليه تفيد بان السوفيت زودوا مصر بصواريخ ارض / ارض متوسطه المدى من طراز (سكود) كما تم التوصل الى ان السوفييت التزموا بتزويد مصر بطائرات مقاتله قاذفه من طراز ميج ٢٣ في نهاية عام ١٩٧٣ .

وفي النصف الثاني من عام ١٩٧٣ وردت الى الاستخبارات الاسرائيليه معلومات كثيره عن استعدادات واستحضارات الجيوش في كل من مصر وسوريا وفسرت من قبل الاستخبارات على انها خطوات دفاعيه

او عمليات تدريب روتينيه تعكس الخوف من هجوم اسرائيلي مباغت .

وفي السابع عشر من ايلول ١٩٧٣ اشترك رئيس شعبه الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه (العميد ايليا هو زعيرا) في المداولات الاستراتيجيه في رئاسه الاركان العامه ونوه تقدير الموقف الاستراتيجي الاستخباراتي بان العرب وعلى الرغم من رغبتهم في الحرب غير قادرين في الوقت الحاضر على شن حرب تبدو فرص نجاحها ضئيلة بسبب التفوق الجوى الاسرائيلي الحاسم وعندما تتعاظم قدره العرب على التوغل في العمق الاسرائيلي بالطائرات وصواريخ ارض /ارض ويطرأ تحسن كبير على انواع الدبابات التي في حوزتهم عندما فقط يتغير هذا التقييم واعتقد القائمون على شعبه الاستخبارات العسكريه بانه يشك عندها ايضا ان يتوصل زعماء الدول العربية الى تقييم بانهم قادرون على هزيمه جيش الكيان الاسرائيلي ولكن من الجائز انهم يشنوا حرب استنزاف وادعى تقييم الاستخبارات بان كل ذلك غير جائز قبل مرور عده سنوات وحتى نهايه عام ١٩٧٥ على اقرب تقدير .

هكذا وقعت الاستخبارات الاسرائيليه في المصيده نتيجه الغرور الذى اصابها واصاب المسؤولين في الكيان الاسرائيلي من جراء الانتصار الباهر الذى احرزوه في حرب حزيران عام ١٩٦٧ وتركز في مخيلتهم ان العرب ضعفاء الى الحد الذى لا يستطيعون فيه مواجهه الكيان الاسرائيلي والى مدى بعيد ، وفاتهم ان النصر الذى احرزوه في تلك الحرب كان من جراء اخطاء ارتكبت واهمال اقترف وليس نتيجه ضعف الجيوش العربيه وان الاخطاء يمكن ان تصحح وان ميزان القوى في الشرق الاوسط سيبقى دائما الى جانب العرب عندما تكون ارادتهم وكلمتهم موحده .

تلك هي حقيقه الاستخبارات الاسرائيليه رغم كثره المعلومات التي وصلتها من مصادر متعدده الا ان تقييماتها وتقديراتها موقفها الاستراتيجي كان بعيدا عن الواقع ، الامر الذى يؤكد عكس ماتدعيه الاستخبارات الاسرائيليه وماتحيط به نفسها من دعايه من انها تتمتع بكفاءه عاليه تثير الاعجاب ، صحيح ان لديها وسائل جمع معلومات مختلفه عن الدول العربيه والاجنبيه وهذا يعود الى عده عوامل اهمها :

* انتشار اليهود في مختلف بقاع العالم وتطوعهم التلقائي لخدمة اجهزه المخابرات الاسرائيليه عن طريق تزويدها بالمعلومات عن الاقطار التي يعيشون فيها والاسرار المتعلقه بتلك الاقطار كما حدث بالنسبه لقضيه يوناتان يولارت وعشرات غيره من يهود الاتحاد السوفيتي وفرنسا والمانيا وبريطانيا ومصر وسوريا وينطلق اليهود في دول العالم المختلفه من نشاطهم لصالح المخابرات الاسرائيليه من ولائهم الوحيد والمطلق للكيان الاسرائيلي وخيانتهم لمصالح المجتمعات التي يعيشون بين طرفيها .
* الخبره اليهوديه في مجال الجاسوسيه والمتوارثه جيلا بعد جيل حيث ان اليهود عملوا جواسيسا للقوى المختلفه عبر التاريخ بدعوى حمايه انفسهم وتجنبها غضب تلك القوى ، ولنا في تعاون هؤلاء مع الحلفاء ثم مع النازيه مثالا صارخا على ذلك .
* طبيعه المجتمع الاسرائيلي الذى يتألف من اكثر من ٧٥ جاليه استقدمت من ٧٥ بلدا من بلدان العالم حاملين معهم عاداتهم وتقاليد وثقافات الاقطار التي هاجروا منها وكذلك معلومات عن تلك الاقطار .

ومع ذلك تأكد ان تقييماتها واستنتاجاتها كانت ضعيفه والى حد الغباء .

وعلى العكس من ذلك ظهرت كفاءه الاستخبارات العسكريه العربيه في حرب تشرين بما لا يدع مجالا للشك بان العقول العربيه ان اعطيت لها حريه العمل والانطلاق فانها تضاهي العقول الاجنبيه وتتفوق عليها وهذه الحقيقه اصبحت معروفه لكل ذى بصيره .

وفي صبيحه الاول من تشرين الاول (اكتوبر) وردت الى شعبه الاستخبارات العسكريه معلومات معينه تشير الى ان هجوما مصريا — سوريا مشتركا سيشن فجر الاول من تشرين الاول ضد اسرائيل وطبقا لتلك المعلومات فان قرارا اتخذ في مصر بعبور القناه والوصول الى ممرات المتلا والجدى واعاده فتح القناه امام الملاحه والعمل على استئناف المفاوضات السياسيه حول انسحاب اسرائيل كمتيجه لتدخل الدول الكبرى وتلك المعلومات تداخلت وترابطت مع معلومات عن تمرين يقوم به الجيش المصرى اطلق عليه اسم (تحرير ٤١) تشترك فيه الاسلحه الثلاثه (البريه الجويه ، البحريه) وهو واحد من سلسلة التمارين التي اعتاد الجيش المصرى على اجرائها في نهايه عام تدريبي وقدم رئيس شعبه الاستخبارات الاسرائيليه في اليوم الاول من تشرين الاول تقريرا استخباراتيا اعرب فيه بانه ليست هناك ايه نيه لتحويل تمرين (تحرير ٤١) الذى تجريه القوات المصريه الى حرب وقد لقي هذا التقرير قبولا من لدن رئيس الاركان العامه ووزير الدفاع اللذين شاركافي مناقشته وقد معلومات مماثله ايضا عن الجبهه الشماليه تشير الى تعزيز السوريين لقواتهم بيد ان تقدير شعبه الاستخبارات آلاسرائيليه كان يتلخص في ان السوريين يقدمون على هذه الخطوه تحسبا من ضربه اسرائيليه وليس بهدف شن حرب على اسرائيل كما وردت معلومات تشير الى ان تمرين (تحرير ٤١) لا يجرى في الحقيقه كتمرين وانه بدأت تظهر يوميا دلائل جديده تشير الى ان شيئا يختلف عن التمرين يظهر فوق الارض ، كما وردت معلومات المحت الى ان المصريين ينوون شن الحرب فعلا وجرى تمحيص وتقييم ودراسه تلك المعلومات من قبل قسم الابحاث وكانت النتيجه العوده الى تبني التقييمات السابقه الملاحظ هنا ان المعلومات كانت تتوارد على الاستخبارات الاسرائيليه بكثره وبدقه عن تحركات وبنايا آلقوات المسلحه المصريه والسوريه الامر الذى يدل على احتمال تواجد العملاء في صفوف تلك القوات كما ان دقه تلك المعلومات تشير الى احتمال ان يكون مرسليها من الاشخاص المطلعين على الامور المهمه وعاده يكون امثال هؤلاء من ذوى الرتب والمناصب المهمه او من الكتبه الذين يشتغلون في المقرات العليا ، الامر الذى يستوجب اعطاء الاهميه القصوى للحد من نشاط هؤلاء العملاء وكشف هويتهم واتخاذ الاجراءات الصارمه بحقهم وذلك عن طريق الاهتمام بأمن الميدان ومكافحه التجسس في القوات المسلحه العربيه اينما كانت لتفويت الفرصه على الاعداء وحرمانهم من الحصول على المعلومات التي تخص جيوش الدول العربيه .

وفي الرابع من تشرين اول (اكتوبر) كلفت طائره استطلاع بتصوير خطوط الدفاع المصريه وقد فشلت محاوله التصوير تلك نظرا لان اله التصوير داخل الطائره اصيبت بعطل وتم حل نتائج هذه الطلعه التصويريه ليله الخامس من تشرين اول واكتشفت من خلال التصاوير الجويه ثلاثيه القياس

ولا ول مره استعد ادات الطوارئ للجيش المصرى على طول القناه كما اتضح من خلال التصاوير ان سبطانات المدفعيه المصريه ارتفع خلال عده ايام من ٨٠٠ مدفع الى ١١٠٠ مدفع وان خمس فرق مشاه احتلت مواقعها في خطوط الطوارئ واصبحت في وضع الحرب الكامله وتم في قطاعات الفرق الخمس تحديد اكداس من معدات العبور والتجسير ، وادعى احد افراد قسم الابحاث في شعبه الاستخبارات العسكريه الذين قضوا ليله كامله في تحليل التصاوير انه لو جرت الطلقه التصويريه قبل ذلك بايام لهزت قسم الابحاث بكامله هزه قويه .

وفي يوم ٥ تشرين اول عقدت بعد الظهر في قسم الابحاث التابع لشعبه الاستخبارات العسكريه ولم تؤدى هذه الجلسه الى تغيير التقدير بشأن الاحتمال الضئيل لاندلاع الحرب وفي صباح يوم ٦ تشرين اول الساعه ٤٣٠ تلقت الاستخبارات العسكريه المعلومه الصريحه كان البلاغ الذى نقل اليهم (لم يذكر الكاتب ناقل البلاغ) يقول (ان الجيش المصرى والسورى على وشك شن هجوم شامل على اسرائيل هذا اليوم في الساعه ١٨٠٠ وسيشن الهجوم في آن واحد في جبهه السويس وجبهه الجولان) وهكذا وصل البلاغ بعد فوات الاوان وهكذا فشلت الاستخبارات الاسرائيليه في تحديد موعد الهجوم قبل مده من وقوعه ولذلك القى المسؤولون الاسرائيليون له تبعة فشلهم في تلك الحرب على اجهزه الاستخبارات بشكل عام والاستخبارات العسكريه بشكل خاص .

ان فشل الاستخبارات العسكريه في تقييم الموقف بصوره صحيحه يعزى الى عوامل عديده تطرقنا اليها سابقا في البحث كما كان لاعمال التمويه التي قام بها المصريون والتي انطلت على اجهزه الاستخبارات الاسرائيليه تأثير كبير على القرارات والدراسات التي قدمتها الاستخبارات العسكريه الاسرائيليه الى مراجعها وقد رأينا من المناسب التطرق الى بعضها والتي تعطينا صوره واضحه من المستوى الرفيع التي وصلت اليه منظومات الاستخبارات العربيه .

ان القرار المصرى الذى اتخذ في شهر تشرين اول (اكتوبر) لشن الحرب ضد اسرائيل اعتبر التمويه عنصرا حاسما في تحقيق المفاجأه حيث توصل المصريون بان التمويه الناجح سيضمن لهم النجاح في ساحه المعركه ويقلل من خسائرهم وفيما يلي مجمل خطه التمويه المصريه في المجالين العسكرى والسياسي على حد سواء .

١) دأب الجيش المصرى على القيام بتمرينات عسكريه بمستويات ضخمه عند انتهاء السنه التدريبيه في شهر تشرين منذ سنه ١٩٦٨ اطلق على تلك التمارين اسم (تحرير سيناء) وكان الهدف من اجراء تلك التمارين السنويه اداره معركه هجوميه على المستوى الاستراتيجي ويتخلل التمرين تحريك قطعات كبيره باتجاه قناه السويس كما اتخذت اجراءات دقيقه للانتقال من وضع التمرين الى وضع الحرب وبذلك اصبحت تحركات القوات المصريه باتجاه القناة لا تثير الشكوك لدى اسرائيل .

٢) قام المصريون بتعبئه وتسريح افراد الاحتياط ، حيث قام المصريون توطئه للتمرين في نهايه شهر ايلول بتعبئه الجنود على دفعتين ، حيث تسرح قسم منهم في مطلع شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ اى قبل نشوب الحرب باسبوع من اجل خلق انطباع بان المقصود هو عمليه تعبئه اعتياديه

وان جميع الجنود الاحتياط سيتم تسريحهم تدريجيا .

٣) تحريك معدات التجسير والعبور الى القناه ولمح الشكوك لدى الجانب الاسرائيلي اعدت قبل الحرب بفتره طويله عطيه نقل معظم الجسور ومعدات العبور على محاور عديده الى الشرق باتجاه القناه ثم يعاد قسم منها الى الغرب ويتم اخفاء قسم منها بالقرب من القناه الى حين عمليه العبور الحقيقيه .

٤) اصدار الاوامر بشأن توزيع الوحدات واعاده الاحتياط الى اماكن عملهم بعد انتهاء التمرين وعلى سبيل المثال فقد نشر ان الدراسه في الكليه الحربيه ومدرسه القياده والاركان وكذلك جميع دورات التدريب ستستأنف في ٩ تشرين الاول الساعه ٨٣٠ صباحا اى بعد انتهاء التمرين مباشره .

٥) نشر انباء عن منح اجازه للجنود والضباط لتأديه فريضه (الحج) في مكه المكرمه اثناء التمرين وقد ثبت توجيهات بهذا الصدد بواسطه اجهزه المخابره المفتوحه بغيه التقاطها من قبل الاستخبارات الاسرائيليه كما نشرت تلك الانباء في ٥ تشرين اول في صحيفه الاهرام القاهريه .

٦) تعمد المصريون اشاعه جو الهدوء والطمأنينه على طول القناه وعلى الاخص صباح يوم ٦ تشرين اول (اكتوبر) من اجل تضليل جماعه الرصد الاسرائيليين حيث استخدمت جماعات من الجنود على طول خط المياه حيث كان هؤلاء يطوفون المنطقه بدون سلاح وخوذات وكان بعضهم يرتدى الزى الرياضي وكانوا يقومون بالاعمال الاعتياديه السباحه في القناه ، صيد الاسماك ، مص قصب السكر ، اكل البرتقال .. الخ .

٧) يقول الاسرائيليون بانهم اجروا دراسه على الاسرى المصريين وتبين ان ٩٥٪ منهم علموا صباح يوم ٦ تشرين اول بان الحرب ستنشب اما الاخرون ٥٪ فقد علموا بالقرار الخاص بشن الحرب في يوم بدء التمرين فقط .

والى جانب ذلك قام المصريون في الاشهر التي سبقت بعمليه تمويه اخرى في الميدان السياسي وكان ذلك في خطب وتصرفات المسؤولين والتي ساهمت في تعزيز التصور الاسرائيلي بالنسبه لعدم قدره مصر على شن الحرب ، .

اما الاعلام المصرى فقد شكلت هيئه وزاريه في مصر قبل خمسه اشهر من نشوب الحرب مهمتها تنسيق عمليات التمويه وكانت الهيئه تضم مندوبين عن وزاره الحربيه والخارجيه والاعلام وقد تولت هذه الهيئه تسريب معلومات الى الصحف المصريه والعالميه عن النقص في الاسلحه في مصر وعن الصيانه المتدنيه للمعدات وعن الخلافات في وجهات النظر بين سوريا ومصر حيث كان الهدف هو خلق انطباع بان مصر تخلت عن الحرب .

الملحق العسكرى الاسيوى يتجسس لحساب الكيان الصهيونـــي

دابت الاستخبارات الاسرائيلية على تجنيد بعض الملحقين العسكريين الذين يعملون في البلدان العربية وكان من بين هؤلاء الملحق العسكرى لاحدى الدول الاسيوية في القاهرة ، وفي شهر ايلول من عام ٧٣ اى قبل حرب اكتوبر اتصلت المخابرات المصرية حادثة " طريق " ورطت بها ذلك الملحق العسكرى الاسيوى وكان من نتيجتها ان قام سائق السيارة المصرى بضربه ضربا مبرحا اضطره الامر الى الدخول الـــى المستشفيات لبضعة شهور وهكذا استطاعت المخابرات المصرية الكشف من حرمان الكيان الاسرائيلي مـــن المعلومات التي كان يرسلها اليهم ذلك الملحق في الفترة الزمنية. المهمة التي سبقت حرب رمضان .

منازلات ناجحة للمخابرات المصرية

: ان المبالغة والتهويل في اشهار وابراز نجاحات المخابـــرات الاسرائيلية ومن ضمنها شعبة الاستخبارات العسكرية (امان) من قبل المسؤولين في الكيان الاسرائيلي ، لا يمكن ان تقلل من اهمية النجا حات التي احرزتها اجهزة المخابرات العربية في منازلة اجهزة الكيان الصهيوني واشتباكها معه في حرب خفية سرية لا تقل عن خطورة الحرب العلنية فالفعلية .

وهذه النجاحات لم تبرز فقط على صعيد مكافحة التجسس وتفكيك الشبكات التي اقامها العدو او حاول ان يقيمها ووقوعها في قبضة اجهزة الاستخبارات العربية بل ايضا في مجال نقل الحرب الخفية الى عقـــر كيان العدو .

وهناك كمن الحقائق والبراهين المؤكدة التي توضح ان بعض اجهزة المخابرات العربية وعلى الاخص في الستينات احرزت نجاحات كبيرة في اختراق الكيان الاسرائيلي بل ومؤسسته العسكرية عبر تجنيد عناصر من اليهود انفسهم . والامثلة على ذلك كثيرة وخاصة ما يتعلق منها بفاعلية اجهزة المخابرات المصرية فـي تلك الحقبة . وسنكتفي هنا بذكر بعض النماذج وفي مقدمتها تجنيد احد الاسرائيليين ويدعى (شموئيل باروخ) .

كان شموئيل باروخ من اسرة مجروفة في القدس وكان لديه مشروع للنسيج في مستعمرة "كريات فات" لكـــن المشروع لم يكتب له النجاح ، في عام ٦٣ اوشك على الافلاس وغادر باروخ الى اقربائه في جنيف املا منه فـــي الحصول منهم على الاموال لانقاذ مشروعه لكنه فشل في ذلك اينما . واثناء بحثه عن مصادر تمويلية اخرى ساقته قدماه الى مبنى المخابرات المصرية هناك وعده هذا بتخصيص الاموال اللازمة وعرض عليه السفر الى القاهرة والتباحث هناك في تفاصيل الامر . ووافق باروخ وزود على اثر ذلك بجواز سفر مصرى وطار الى القاهرة واصبح باروخ ضيفا على المخابرات المصرية مدة سبعة ايام ، قام مضيفوه خلالها باطلاعه على معالم المدينة ونواحيهـــا حتـ انهم صوروه وهو فوق الاهرامات لكي يصار الى استخدام تلك الصور كوسائل ضغط ضده اذا ما دعت الحاجة ذلـــك ، وبينوا له انهم باستطاعتهم استثمار الاجانب في تمويل مشروعه وارسـال عملاء مصريين اليـــه بحجة انهم خبراء وحددوا معـــه بعض اساليـــب الاتصـــــــــال .

وعاد باروخ الى اسرائيل عن طريق جنيـــف وبدأ بممارسة عمله فور وصوله واخذ يرسل رسائله الـــى المخابرات المصرية على عنوان سرى في روما . وطلبت المخابرات المصرية منه ان ينظم الـــى منظمة "يسرائيل هاتسعيره" اى "اسرائيل الفتيـــة" وهي حركة نشأت في ذلك الوقت بهـــدف تقديم مصالح الطائفة الاسفرادية في اسرائيل وكان ينتظر منها ان تشترك في انتخابات الكنيســـت لعام ١٩٦٥ .

ذهب بـــاروخ وقابل رئيس الحركة مستصحبا معه الوثائق التي تثبت انتسابه العائلي وموقعه الاجتماعي وعلاقاته المهمة خـارج البلاد وادعى ان بامكانه دعم الحركة عن طريق الحصول على الدعم المـــادى لها من الشخصيات اليهودية اذا ماتوجهت الحركة اليهم بواسطته ، وكان بذلك ينوى الحصـــول على التبرعات من المصريين . وقد تركت اقواله تلك انطباعها واصبح بعد مرور عدة اسابيع المســؤول عن اللجنة المالية للحركة .

وفي تشرين الثاني عام ١٩٦٤ القي القبض عليه في ميناء حيفا وحكم عليه بالسجن مدة ١٨ عاما بعد ان عمل لحساب المخابرات المصرية حوالي سنتيـــن .

ثم كانت هناك نجاحات اخرى تنطق بها سلسلة عمليات الاختراق التي تقدمها المخابرات المصريـــة للكيان الاسرائيلي ومنها زرع (اسحاق زكـــي) عام ١٩٦١ الذى خدم في الجيش ودخل الكيـــان الاسرائيلي على انه مهاجر من تركيـــا . وكذلك تجنيد الشابة الالمانيـــة هيلفـرد اوتـــــو لصالح المخابرات المصرية ويوسف لـــوك وعشرات اخريـــن .

كما ان المخابرات السورية نجحت في احداث مثل هذا الاختراق عام ١٩٧٢ عندما جنـــدت عددا من الاسرائيليين بينهم مظليون وهم اهود اديـــف ودان فيريـــد وغيرهما ، لصالحهـــا وقدموا معلومات على جانب كبير من الاهمية والخطورة . وقد ضمت الشبكة اكثر من (٢٠) شخصـــا

علاوة على ذلك فان المنظمات الفلسطينية احرزت هي الاخرى على صعيد منازله المخابرات الاسرائيلية بعض النجاحات وخاصة قتل عدد من عناصرها في اسبانيـــا وقبرص واليونان

الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية بعد حرب رمضان ١٩٧٣ :

ان الفشل الذى حظي به الكيان الاسرائيلي في حرب عام ١٩٧٣ القيت مسؤولية بصفة رئيسية على اجهزة الاستخبارات بشكل عام والاستخبارات العسكرية بشكل خاص ، والغرض من ذلك ابعاد الجيش الاسرائيلي عن مسؤولية الفشل تلك بغية المحافظة على الروح المعنوية العالية التي يتحلى بها نتيجة انتصاره في حرب عام ١٩٦٧ . والحقيقة التي ظهرت واضحة للعيان في حرب رمضان ١٩٧٣ ان الجيش الذى لايقهر "هكذا كانت تطلق عليه ابواق الدعاية الاسرائيلية بعد حرب عام ١٩٦٧" هو جيش عندما يكون بمعزل عن الغطاء الجوى الذى يحتمي به اثناء المعارك يصبح الجيش من الدرجات الدنيا في قابليات القتالية ، وقد ظهرت الحقيقة بوضوح اكثر في حرب لبنان حيث ظهر للعيان ان الجندى الاسرائيلي جندى جبان عندما لايؤمن الاسناد الجوى الكثيف له ولذلك فان مسؤوليه الفشل في حرب رمضان لاتقع على عاتق الاستخبارات العسكرية في اسرائيل فحسب بل والجيش ايضا من خلال العجز الذى ظهر عليه خلال تلك الحرب ، وعلى العكس من ذلك اثبتت الجيوش العربية مقدرة وكفاءة عاليتين ابهرت العالم وحازت على اعجاب المحللين العسكريين وعلى اثر الفشل الذى منيت به القوات المسلحة الاسرائيلية القيت تبعات الفشل على الاستخبارات العسكرية كما قلنا سابقا وشكلت "لجنة اجرانات" برئاسة رئيس المحكمة العليا انذاك شمعون اجرانات للتحقيق في اسباب الفشل وقد اوصت اللجنة بادخال تغييرات في بنية اجهزة الاستخبارات ، والقت بالمسؤولية على اربعة اشخاص كانوا يتقلدون مناصب مهمة في الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية وابعدوا عن مناصبهم وهم "رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ، مساعد رئيس الشعبة لشؤون التقييم ، رئيس فرع مصر في شؤون الابحاث ، ضابط استخبارات القيادة في المنطقة الجنوبية" . وتم في عام ١٩٧٤ تعيين "شلومو جزيت" رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية (وقد سبق له ان عمل رئيسا لقسم الابحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية اثناء حرب حزيران ١٩٦٧) والقيت على عاتقه مهمة بناء الصنف .

وكانت اول عملية اعادة تنظيم قد تمت في قسم الابحاث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية ورفقا لتوصيات "لجنة اجرانات" هي تكليف القسم بالانصراف الكلي الى الجانب العسكرى

والتقليل من الاهمية التي يعيرها القسم الى الجانب السياسي " الذى كان له تاثير قوى على عمل القسم قبل الحرب " حيث تم زيادة عدد الباحثين في القسم المخصصين الى عمليات تحليل الجانب العسكرى بالمقارنة مع اولئك الذين يتولون عملية تحليل نشاط واستعداد العدو السياسي . اما في المجال التنظيمي فقد تم تقسيم قسم الابحاث الى ميادين مسؤولية جغرافية ، حيث تولى كل رئيس قسم ميدان مسؤولية الابحاث الاقليمية العسكرية والسياسية واستهدف هذا النظام ايجاد منظومة استخبارية متخصصة في كل مجال ، حيث يعمل كل مسؤول عن ميدان على خلق اللقاء بين المعلومات والتقييم في الميدان العسكرى والسياسي والاقتصادى والاجتماعي والتكنولوجي . كما اتخذت مبادرة لاعطاء حرية التعبير عن الراى لصغار الباحثين ، وتم تشجيعهم على طرح الاراء المتعارضة مع اراء المسؤولين عنهم ، الغرض من ذلك غرس الاحساس لدى هؤلاء بانهم يجب ان يعبروا عن رايهم بشكل صريح وان لايخشوا التعبير عن ارائهم حتى وان كانت اراؤهم غير مقبولة من قبل الاغلبية ، وعلى اثر ذلك اصبحت المناقشات التي يجريها قسم الابحاث يشارك فيها احيانا باحثون صغار من دون رتبة ملازم وحتى رئيس الاستخبارات العسكرية وذلك من اجل الحيلولة دون نشوء حاجز فكرى بين كبار الباحثين وصغارهم .

كما انجزت عملية اخرى على جانب من الاهمية في مجال الانذار الاستخبارى حيث زود قسم الابحاث وقسم جمع المعلومات باجهزة خاصة بشرية وتقنية وجهت لدراسة الاشارات والتشويشات الواردة ضمن المعلومات الاستخبارية ، وتم تركيب منظومة من مؤشرات الانذار الدالة على الحرب كما عززت مواقع الانذار بالاجهزة المتطورة والافراد . وكذلك ادخلت تغييرات في كل مايتعلق بالتصاوير الجوية وعمليات الرصد ، حيث تناولت احداث الرصد وارتبط التحسن الجوهرى في مجال الرصد بتطور الوسائل الالكترونية الذى اصبحت بحوزتها ، كما استخدم الرصد التلفزيوني ضمن دائرة مغلقة كما ادخلت الى الخدمة الطائرة الصغيرة التي تطير بدون طيار "مزليط" كوسيلة مساعدة لضباط الاستخبارات على مستوى الفرقة والقيادة ، وكلفت هذه الطائرة بواجبات عديدة وعلى مختلف جبهات القتال واثبتت كفاءة عالية في مجالات التقاط التصاوير الجوية للمواضع المعادية وفي مجال التشويش الالكتروني وغيره من الامور .

وكذلك تم تعزيز اجنحة الاستخبارات العسكرية في القيادات بالمعدات والقوة البشرية لتتمكن من

منافسة شعبة الاستخبارات على مستوى الاركان العامة ، اما الذين تعاقبوا على رئاسة شعبة الاستخبارات فهم ايسرباري حاييم ميرتسوع بنيامين جبلي ، يهوشفاط هيركافي ، حاييم هيرتسوع مرة اخرى (حتى عام ١٩٦٢) ومئير عميت واهرون ياريف ايليا هوزعيرا شلوموجزيت ، يهوشفاع ساجي ، اهود براك ، بي شاحاك .

مراكز نشاط الاستخبارات العسكرية :

استغل الكيان الاسرائيلي شبكة علاقاته الدبلوماسية ليحول مقرات هذه البعثات الى قواعد ومراكز لنشاطه الاستخباري والتجسس تحت مظلة الحصانة الدبلوماسية . وقد انتشرت هذه القواعد والمراكز في كل بلد افتتحت فيه سفارة اسرائيلية او قنصلية او فرع لشركة طيران (ال عال) او شركة الملاحة الاسرائيلية (صيم) اوبعثات المشتريات التابعة للوزارة بل وحتى الشركات العاملة في الدول الاجنبية مثل شركة (سوليل بونيه) والشركات السياحية وشركة (تاهال) للمياه وشركة (كور) وعشرات غيرها . وقد اسندت مهمات رئيسية الى العاملين في هذه البعثات والشركات ، وكان لافراد شعبة الاستخبارات العسكرية نصيب الاسد في اشغال وظائف حساسة في البعثات الدبلوماسية من ملحق عسكري الى مستشار مرورا بسكرتير اول وسكرتير ثاني وانتشر هؤلاء في الامريكتين واوروبا والكتلة الشرقية واسيا وافريقيا ليمارسوا مهمة جمع المعلومات بمساعدة اليهود او المتعاونين والمتعاطفين مع الكيان الاسرائيلي ولم يقتصر نشاط هؤلاء على جمع المعلومات عن الاقطار العاملين فيها او عن الدول العربية عن طريق محاولة اختراق اجهزة الاستخبارات في تلك الدول للوصول الى ماتيسر لديها من المعلومات عن المنظمة العربية وانما شمل ايضا تجنيد العملاء وبناء شبكات الجاسوسية في الاقطار العربية انطلاقا من تلك الاقطار . وليس ادل على ذلك من تجنيد كوهين في الارجنتين ، ولفجانج لوتس من المانيا والجاسوسة كرميلا من بريطانيا ، وقد لجأت الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية الى تزوير جوازات سفر اجنبية بريطانية وفرنسية وامريكية وايطالية او الحصول عليها بواسطة اجهزة تلك الاقطار لتزويد العملاء المجندين لصالحها لتسهيل عملية دخولهم الى الاقطار العربية . واستخدم هذا الاسلوب في الخمسينات والستينات والسبعينات ، بل والثمانينات ، لزرع عملاء في دول الخليج العربي ، ومصر والسودان والاردن ولبنان ، والذين يعملون في شركات اجنبية او كمندوبين

لشركات اجنبية في الاقطار العربية ، بعد ان تعذر بناء هذه الشبكات بصورة مباشرة . وفي مصر استغل الكيان الاسرائيلي بعثته الدبلوماسية في القاهرة لتأهيلها بعناصر من الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية . وكان يمثل الموساد السفير بن ابليسار مسؤول سابق عن العمليات الخاصة ثم ايلياهو ساسون الذي عمل في شعبة الابحاث بوزارة الخارجية وشعبة الاستخبارات وكذلك شمعون شامير الذي عمل في قسم البحوث لشعبة الاستخبارات . اما شعبة الاستخبارات فلقد مثلها البيرت اطرقجي الذي اغتيل في مصر وكان يعمل في قسم جمع المعلومات .

القمر الاصطناعي الاسرائيلي :

اطلق الكيان الاسرائيلي اول قمر اصطناعي له الى الفضاء يوم ١٩/ ايلول/ ١٩٨٨ اطلق عليه بالعبرية اوفك ـ ١ " وتعني بالعربية " افق ـ ١ " يدور حول الارض دورة واحدة كل ٩٩ دقيقة وفي مدار يبعد عن الارض من ٢٥٠ الى ١٠٠٠ كيلو متر ويقترب الى الارض على المدى الاقصر (٢٥٠ كيلو متر) وذلك عندما يكون تحليقه فوق الاراضي العربية .

ان هذه السلسلة من الاقمار الصناعية الاسرائيلية سيستخدم بعضها لدراسة مختلف اوجه الاستخدام العلمي والعسكري للفضاء واهمها بطبيعة الحال التجسس وجمع المعلومات ، ولعل هذه الوظيفة هي التي تهمنا في هذا البحث .

ولكي نوضح اهمية المعلومات التي يمكن ان يحصل عليها الكيان الاسرائيلي بواسطة اقماره التجسسية نوضح وكما جاء ذكره سابقا انه في الرابع من تشرين الثاني "اكتوبر" عام ١٩٧٣ كلفت طائرة استطلاع اسرائيلية بمهمة تصوير خطوط الدفاع المصرية غرب القناة ، وقد فشلت محاولة التصوير تلك نظرا لان الة التصوير داخل الطائرة اصيبت بعطل وتم حل نتائج تلك الطلعة التصويرية ليلة الخامس من تشرين اول وقدمت المعلومات الى القيادة الاسرائيلية فجر يوم ٦ تشرين أول ، واوضحت تلك التصاوير امورا مهمة جدا جعلت المسؤولين الاسرائيليين يعيدون النظر في مواقفهم واستنتاجاتهم السابقة بخصوص نوايا المصريين ولكن بعد فوات الاوان ، ونتيجة ذلك تأكد للمسؤولين الاسرائيليين من ان التصاوير الجوية تلك لوقدمت اليهم قبل ذلك الموعد لسارت الامور على غير ماوقعت عليه يوم ٦ تشرين ثاني (اكتوبر) .

الامر الثاني الذي حصل خلال حرب رمضان هو ان الاقمار الاصطناعية الامريكية انقذت اسرائيل من كارثة محققة وذلك حينما اطلعت القيادة الاسرائيلية على وجود ثغرة الدفرسوار التي استغلتها

تلك القيادة ودفعت قواتها من خلالها الى جهة القناة الغربية الامر الذى ادى بالنتيجة الى احباط الانتصار العربي وادى الى مفاوضات الكيلو ١٠١ المعروفة .

هذان الحدثان يعكسان اهمية المعلومات التي يمكن ان توفرها الاقمار الاصطناعية التجسسية الى الكيان الاسرائيلي حيث بامكانها تامين معلومات انية دقيقة وذات مصداقية تامة عن تحركات الجيوش العربية وتحشداتها ونقاط الضعف في مواقعها ، الامر الذى حث الاسرائيليين على الاسراع بانتاج قمر صناعي خاص بهم يمدهم بالمعلومات التي يحتاجونها عن الترسانات العسكرية العربية وعن حركة جيوشها سواء تلك المتاخمة لحدودها او البعيدة عنها .

ان وجود الاقمار الاصطناعية التجسسية الاسرائيلية في الفضاء سيجعل الوطن العربي بكامله تحت انظار مخططي السياسة الاسرائيلية وستوفر لهؤلاء مايلي :

١. مراقبة تحركات الجيوش العربية بدقة وستحدد لهم اماكن بطاريات المدفعية والصواريخ وتجمعات الدبابات ومصانع الاسلحة والاعتدة والقواعد الجوية .... والخ من المعلومات المهمة ، الامر الذى سيمكن اسرائيل من اتخاذ الاجراءات الوقائية ضد مثل تلك التحشدات والتحركات وتوجيه ضربة وقائية مفاجئة لها في الوقت المناسب .

٢. ان المعلومات التي ستوفرها تلك الاقمار ستمكن اسرائيل من الاستغناء عن المعلومات التي تحصل عليها من الاقمار الاصطناعية الامريكية ، الامر الذى سيتيح لها ان تكون اكثر استقلالية وحرية في الحركة والمناورة ، ورغم العلاقة المتينة التي تربط الكيان الاسرائيلي بالولايات المتحدة الامريكية فان الاخيرة كانت تحجب الكثير من المعلومات التي تحصل عليها بواسطة اقمارها الاصطناعية عن الوطن العربي وذلك لاسباب لامجال لذكرها في هذا البحث ، وعليه سيكون بمقدور الكيان الاسرائيلي من خلال الاقمار الاصطناعية الخاصه به الحصول على كافة المعلومات التي يستفيد منها عن الوطن العربي وليس على جزء محدد منها كما كان يحصل عليه من امريكا سابقا .

٣. سيكون من الصعب مستقبلا مفاجاة الكيان الاسرائيلي بضربة استباقية كما حدث في حرب رمضان ، حيث ستكون كافة تحركات وتحشدات القوات العسكرية العربية على مرأى الكيان الاسرائيلي وبذلك

خلاصة

كما اشرنا فانه في اعقاب الزلزال الذى حدث في ١٩٧٣ ، والذى هز الاستخبارات العسكرية (امان) ، عمدت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الى تشخيص عوامل الفشل والاخفاق وخاصة في ضوء تقرير لجنة اجرانات وعزتها الى العوامل التالية :

١. اسناد مهمة تحليل المعلومات وتقويمها ووضع تقدير الموقف على المستوى القومي الى شعبة الاستخبارات بمفردها . مما يترتب على ذلك استبعاد الاجهزة الاخرى وخاصة (الموساد) عن مهمة التحليل والتقييم وحصر نشاطها على جمع المعلومات .

٢. عدم وجود هيئة استخبارية عليا تتولى عملية تقييم المعلومات ومراجعتها والتحقق من مصداقية تقدير موقف الاستخبارات العسكرية .

٣. وحتى بالنسبة لشعبة الاستخبارات العسكرية فان تقييم المعلومات وتحليلها اقتصر على نفر قليل من المختصين: رئيس الشعبة او رؤساء الاقسام ورئيس شعبة الابحاث .

٤. ان المسؤولين الذين بدأوا بتولي رئاسة شعبة الاستخبارات وخاصة بعد عام ١٩٦٧ ، لم يكونوا من ذوى الكفاءة العالية في مجال هذا التخصص فلقد تم الاختيار اما بسبب كون هؤلاء قادة عسكريين او لدورهم في الحرب السابقة .

ان عقد مقارنة بسيطة بين هؤلاء الذين تسلموا منصب رئاسة شعبة الاستخبارات (امان) قبل عام ١٩٦٧ وبعد ذلك يؤكد هذه الحقيقة .

فمقابل ايسر بارى ، وبنيامين جبلي ، ويهوشفاط هيركابي ، وحاييم هيرتسوغ ، ومئير عميت حتى عام ١٩٦٧ حل محلهم ايليا هوزعيرا ثم شلومو جازيت ويهوشاع ساجي وشاحاك .

والسؤال الذى لابد ان يطرح هو : هل تم تلافي هذه الاخطاء ؟ وهل طبقت جميع التوصيات التي تضمنها تقرير لجنة اجرانات ؟ وهل ان شعبة الاستخبارات العسكرية استردت موثوقيتها التي افتقدتها ؟

بعض الاوساط الاسرائيلية اشارت الى ان جميع الاخطاء قد عولجت وان دروسا جديدة استنبطت من الاخفاقات مما جعلها افضل من السابق باعتبار ان هذا الجهاز يمثل اهم ضمانة لامن اسرائيل .

المصادر الاخرى راحت تتحدث على نطاق واسع في الآونة الاخيرة عن اخفاقات جديدة للاستخبارات اعتبرتها امتدادا للاخفاقات والفشل في عام ١٩٧٣ .

وكان عدد من المحللين العسكريين في صحف همشمار وهاتسوفيه ومعريف وهاارتس قد اشاروا خلال شهر حزيران وتموز الى بعض هذه الاخفاقات ومنها :

بالنسبة لشعبة الاستخبارات : *الاخفاق في التنبؤ بانتهاء الحرب العراقية الايرانية ، وفي هذا الصدد اشاروا الى ان ضابطا كبيرا في الاستخبارات العسكرية كان قد اشار في تقدير للموقف عرضه على لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، قبل يومين فقط من اعلان ايران قبولها قرار مجلس الامن ، ان الحرب ستستمر لفترة طويلة .

* الاخفاق في الابلاغ و تقييم حجم صفقة الاسلحة السعودية البريطانية التي اشتملت على طائرات تورنادو. بالنسبة لجهاز الامن العام (الشفاخ) فقد اخفق في التنبؤ بالانتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غـــزة وحجم الانتفاضة والفشل في تقييم الاتجاهات والاوضاع التي سبقت الانتفاضة.

* اخفاقه في تقييم السجل الشخصي للتقني النووي الاسرائيلي (مردخاى فانونو) قبل تعيينه في مفاعـل ديمونة.

* اخفاقه في الكشف عن هوية الجاسوس السوفيتي الدكتور هانس كالينبرغ الذى زرعته المخابرات السوفيتيـــة في اسرائيل واستطاع ان يخترق اخطر معاهدها المتخصصة في انتاج الاسلحة البيولوجية في (نيـــس تسيونة). كان هذا العالم الخبير فـي علم الاوبئة قد قدم الى فلسطين المحتلة على انه مهاجـــر من يهود الاتحاد السوفيتي. واستطاع وخلال فترة ان يصل الى ادق الاسرار حيث كان يحملها الى سويسرا ليتنقل من هناك الى اوربا الشرقية. وتذكر بعض المصادر ان الدكتور كالينبرغ تمكن من نقل اخطر الاسـرار وخاصة عن تطوير الاسلحة الكيمياوية والبيولوجية فـي اسرائيل. ولم تتمكن اجهزة المخابرات من اكتشافـه خلال سنوات طويلة من العمل الا عن طريق الصدفة.

هذه بعض الامثلة التي اوردتها الصحافة الاسرائيلية حول استمرار الاخطاء والفشل في عمل جهاز شعبـة الاستخبارات العسكرية (امان) بشكل خاص وبقية اجهزة استخبارات الكيان الاسرائيلي.

الخاتمـــــة

هناك حقيقة اساسية وهي ان الجيوش العربية تتكون بصفة رئيسية من جيش نظامي كبير نسبيا بينمـــا يعتمد الكيان الاسرائيلي على جيش نظامي صغير فقط للدفاع عن الحدود وتعبئة الاحتياط في حـــالات الطوارى. لذا فان الجيوش العربية يمكنها الانتقال من حالة الاستعداد الدفاعي الى حالة الاستعـداد الهجومي بسهولة ولا يحتاج في ذلك الى تحضيرات كبيرة، وان هذا الواقع يمكن ان يوضح المتاعب الموضوعية التي تواجهها الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في تحديد واكتشاف انتقال القوات العربية من الحالـــة الاعتيادية الى حالة الحرب، في حالة نجاح الدول العربية في حجب المعلومات الاستخبارية عن العدو.

من هذا المنطلق يتوضح لدينا اهمية حجب المعلومات عن الكيان الاسرائيلي وعليه يجب اعتبار ذلك قضيـة اساسية في سياسات الدول العربية تجاه الكيان الاسرائيلي، ولغرض تامين ذلك يتوجب دراسة موضـــوع حجب المعلومات دراسة جدية ومستفيضة من قبل المتخصصين في هذا المجال على مستوى الوطن العربي ووضع الحلول والتوصيات اللازمة وعلى الدول العربية الالتزام بها وتنفيذها بغية حرمان العدو الاسرائيلي من احـد اهم الوسائل التي يعتمدها في الحفاظ على كيانه، الا وهي المعلومات الدقيقة التي يستطيع الحصول عليها من مصادر المعلومات المختلفة عن نوايا وتحركات الدول العربية.

المصـــــــادر :

٠١ مجدى لطيف/ المخابرات الاسرائيلية/ وثائق المخابرات الامريكية، دار الوطن ببيـــروت ١٩٨٦ الطبعة الثالثة

٠٢ يعقوب كروز/ المخابرات العربية دار نشر (عدنـــا) القدس ١٩٧٦

٠٣ صحيفـة دافـــار ١٩٨٦/٦/٦

٠٤ ملحق دافـــار ١٩٨٦/٦/٦

٠٥ حرب سرية بثلاثة عـل همشـــار ١٩٨٦/٩/١٥

٠٦ صنف الاستخبارات/ الموسوعة العسكرية/ دار نشر رفيقيـــم ١٩٨٢

٠٧ ايتان هيبر وزئيف شيف/ المعجم العسكرى الاسرائيلي/ دار نشر زمورا ومودان/ ١٩٧٥

تقارير

تطورات ومستجدات مع اقتراب الانتخابات داخل الكيان الاسرائيلـــــــي

مع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانيه في الكيان الاسرائيلي برزت على السطح عده مستجدات على الخارطه السياسية وعده تطورات لابد من الوقوف عندها. وعلى ضوء هذه التطورات يبدو واضحا الان ان الفتره المتبقيه على الانتخابات لم تعد تسمح بحدوث مزيد من المستجدات التي تنطوى على الاثاره والدراماتيكيه •

اما اهم هذه التطورات واخطرها فيمكن تحديدها على النحو التالي :ـ

(١) عدم السماح لقائمه (كاخ) اليمينيه المتطرفه بزعامه الحاخام (مئيركهانا) يخوض الانتخابات في ضوء قرار لجنه الانتخابات العامه هذا القرار الذى اتخذ في مطلع شهر تشرين الاول (اكتوبر) تعزز برفض محكمه العدل العليا في الكيان الاسرائيلي يوم الثلاثاء (١٨/١١/١٩٨٨) الاستئناف الذى تقدم به (كهانا) للسماح له بخوض الانتخابات ومهما قيل عن هذا التطور فانه لم يكن ينطوى على الاثاره او مفاجأه او انه يشكل منعطفا حاسما في السياسه الاسرائيليه •

لقد فسرت بعض الاوساط وخاصه داخل الكيان الاسرائيلي هذا القرار بانه انتصار لما يسمى بالديمقراطيه وللمبادئ والمواقف المعتدله ونبذ ورفض للاتجاهات العنصريه والشوفينيه داخل الكيان الاسرائيلي بل ذهبت هذه الاوساط الى تفسير قرار المحكمه برفض الاستئناف من قبل حركه كاخ وقرارها بالسماح للحركه التقدميه للسلام بخوض الانتخابات على انه انتصار لخط الاعتدال ولمعسكر السلام واليسار داخل الكيان المذكور (اذاعه الجيش الاسرائيلي (برنامج هذا المساء والساعه ٨ مساء ١٨/١٠/١٩٨٨) غير ان هذا الموقف الذى صدر عن حركات واوساط داخل الكيان الاسرائيلي وتلقفته الاذاعات ووكالات الانباء الاجنبيه (اذاعه صوت امريكا مونت كارلو واذاعه لندن) تغافل عن الحقائق تحت ستار انتصار الاتجاهات المعتدلة وقد تقع بعض الاوساط العربيه في نفس هذا الخطأ حين تفسر قرار محكمه العدل العليا باجازه نشاط الحركه التقدميه للسلام والسماح لها بخوض الانتخابات على انه انتصار لما يسمى بالاتجاهات المعتدله والجماعيه

ان استثناء هذه القائمه من قرار الالغاء الذى شمل حركه (كاخ) كان مرجعه اقتناع اعضاء المحكمه والسلطات بان الحركه لاتشكل اى خطر على الكيان الاسرائيلي بل هي في نهايه المطاف

اعداد / حلمي عبد الكريم الزعبي

شأنها شأن التجمعات الهامشيه محدوده التأثير على صنع القرار في اسرائيل وعلى المسار العام •

لكن اهم اسباب هذا الاقتناع هو ان الحركه اثبتت خلال الانتفاضه انها لا تختلف عن بقيه الحركات المماثله في الكنيست من حيث الولاء للكيان الاسرائيلي فلقد صدرت عن زعمائها جدال الاحتياط (مائي بيليد) والمحامي (محمد ميعاري) الذى كان عضوا في حركه الارض ثم احاطت الشكوك به نداءات تدعو عرب ١٩٤٨ بعدم تجاوز حدود التضامن مع الانتفاضه لكون هؤلاء مواطنين اسرائيليين اولا واخيرا ولا ختلاف مصالحهم مع مصالح سكان الضفه والقطاع (صحيفه الرايه) لسان حركه ابناء البلاد وادبيات اللجان الطلابيه العربية في جامعة حيفا وتل ابيب وبئر السبع) • وايا كانت مبررات هذه الاوساط فان رؤيه الواقع السياسي المواكب للانتخابات داخل الكيان الاسرائيلي يدحض بقوه كل هذه الطروحات ويفند هذه الاراء ومن المعروف ان الافكار والعقائد والطروحات بل والمواقف التي روج لها (مئير كهانا) في اطار برنامجه الانتخابي او فوق منبر الكنيست على مدى اربعه اعوام فيها من اوجه الشبه بل والتطابق مع نفس الافكار والطروحات والمواقف التي تدين بها حركات سياسيه اخرى ومماثله بالكنيست وستخوض الانتخابات القادمه مايثير الانتباه •

باختصار فان مراجعه دقيقه ومتعمقه في البرنامج الانتخابي لحركه النهضه (هتحياه) يقنع الى حد كبير بان هذه الحركه وحركة كاخ هما وجهان لعمله واحده •

ولتوضيح ذلك نشير الى الحقائق التاليه :ـ

أ) ان مؤتمر حركه هتحياه الذى عقد يوم ٢٧/تموز١٩٨٨ اختار ضمن قائمته للانتخابات مرشحين لا يقلون تطرفا وعنصريه وعدوانيه عن مئير كهانا والمتمعن بهذه الاسماء يكشف عن حشد من غلاه المتطرفين الذين حفل تاريخهم بالمواقف المتطرفه وهؤلاء هم البروفسور يوفال نئمان جؤلا كوهين وحنان بن ضرات وعزرا سدان والكيام عتسيوني وبني كستوبير وافي فرحان وافرايم بن حاييم ومناحيم فيلكس ويعال عميشاف (معريف ٢٨/٧/١٩٨٨) الا انه من الامور ذات الدلاله الهامة والخطيره ان هذا الترشيح جرى على اساس ان معظم هؤلاء يمثلون الاستيطان الصهيوني في الضفه الغربيه وقطاع غزه والجولان وحتى سيناء فلقد رشحت يعال عميشاف (التي كانت تقيم في مستوطنه (حلمي يوسف) في منطقه يميت قبل اخلائها بموجب اتفاقيات كمب ديفيد على اعتبار انها ممثله للاستيطان في سيناء وبدعوى النضال من اجل اعاده ذلك الاستيطان (معريف ٢٦/٧/١٨٨) •

ب) ان برنامج الحركة الذى يمثل دليل عملها والذى طرحته على الناخبين ينطوى في المحصله النهائيه على بنود وقناعات ومنطلقات لا تقل خطوره وتطرفا عما طرحته حركه كاخ ويمكن ايجاز تلك البنود على الشكل التالي •

ـ الاستيطان: تنادى الحركه بل وتشدد على ضروره تكثيف الاستيطان لمواجهه الانتفاضه وتفاقم المشكله الديمقراطيه وتسهيل عمليه ضم المناطق عن طريق توجيه (١٠٠) الف اسرائيلياً من

الداخل الى المناطق (صحيفة معريف ١٩٨٨/٧/٢٨) .

- طرد العرب : طرحت الحركة ضمن برنامجها الذى اقره مؤتمرها العام مسألة طرد عشرات الالاف من العرب من الضفة والقطاع للقضاء على الانتفاضة خلال ايام ، واذا كانت الانتفاضة قد اتخذت هنا مبررا للطرد فان مخطط الطرد الذى اعدته الحركة منذ سنوات جاهزا للتطبيق وكان زعماء الحركة البروفيسور يوفال نبتمان وجولدا مير وموشي شامير وعشيوني قد دأبوا خلال السنوات الاخيرة على المطالبة بوضع المخطط موضع التنفيذ فوق منبر الكنيست (مجلة الاسوار /عكا العدد تموز ١٩٨٨) .

- ضم المناطق العربية : تهدف الحركة وبناء على اقتراح تقدمت به المرشحة للانتخابات (يعال عميشاف) بالنضال والعمل من اجل تشريع قانون ينص على ضم المناطق وابعاد العرب الى الاردن لتكون هناك دولتهم وتكون عمان عاصمتهم ومقر برلمانهم (معريف ١٩٨٨/٧/٢٦) .

هذا عن حركة هتحياه اما بشأن احزاب وحركات اخرى فان اوجه التشابه بين ماطرحته حركة كاخ وماتطرحه هذه الاحزاب يمكن ملاحظته بسهولة وخاصة تكتل الليكود وحركة (تسوميت) التي يتزعمها الجنرال رفائيل ايتان والتي اندمجت في صفوف الليكود وكذلك ماتطرحه حركة (مورشاه) و (شاس) .

وخلفيات هذه الحركات السياسية والايديولوجية كانت ولا تزال تشكل عوامل هامة ومكونات اساسية في مواقفها حيال العرب والمناطق العربية وان ماصرح به (اسحاق شامير) رئيس وزراء الكيان الاسرائيلي في مهرجان انتخابي نظم بمدينة عسقلان يوم (١٨/١٠/١٩٨٨) يؤكد ماذهبنا اليه ، فلقد هدد شامير وبلهجة تنم عن عنصرية سكان الضفة والقطاع بالفناء الشامل واستئصال وجودهم اذا لجأوا الى استخدام السلاح ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي (اذاعة الجيش الاسرائيلي جالي لساكهال /برنامج مباط الساعة ١٠ / مساء يوم ١٨/ ١١/ ١٩٨٨) وهذا الموقف من العرب الذى يتبناه الليكود هو نفس الموقف الذى يتخذه من مسالة الاستيطان ومايسمى بالمشكلة الديمقراطية .

ويتفق المراقبون على ان اختفاء مئير كهانا وحركته كاخ لن يترك فراغا ايديولوجيا لان تلك الحركات ستحل محل كاخ سواء في طرح افكارها ومواقفها او سواء عن طريق ممارساتها الفعلية : يضاف الى ذلك ان حركة (كاخ) لن تختفي نهائيا عن البيئة السياسية او التنظيمية داخل الكيان الاسرائيلي العكس هو الصحيح فالحركة ستواصل نشاطها الاستيطاني في الضفة والقطاع والاحتفاظ بجيش خاص مسلح باسلحة الجيش الاسرائيلي امعانا في الاعتداء على العرب في المناطق المحتلة .

٢) تحسن مركز حزب العمل خلال الفترة التي سبقت الانتخابات : مهما قيل عن جدية وموضوعية نتائج الاستطلاعات التي تجريها معاهد متخصصة في دراسة الرأى العام وقياس اتجاهاته فانه لايمكن الاستهانة بهذه النتائج وان كان يصعب التعامل معها كقياس للنتائج المتوقعة للانتخابات خاصة اذا كان الامر يتعلق بالكيان الاسرائيلي .

فلقد اظهر استطلاع للرأى العام اجراه الدكتور (يعقوب ازراحي) في شهر تموز الماضي بواسطة شركة (وسيما) نتائج لصالح حزب العمل ابرزت تفوقه على الليكود وتقدمه عليها بفارق لايستهان (معريف ٨٨/٧/٢٦) .

يقول (يعقوبي) الذى اشرف على الاستطلاع الذى شمل عينه مكونة من (٥٠٠) شخصا من الناخبين اليهود جرى سؤالهم عبر الهاتف ان السؤال المطروح : لو جرت الانتخابات للكنيست هذا اليوم فلصالح من ستدلي بصوتك ؟ كانت الاجابة على النحو التالي :-

- حزب التجمع ٥ر٤٠٪
- تكتل الليكود ٥ر٣٤٪
- حركة النهضة هتحياه ٥ر٤٪
- حركة حقوق المواطن (راتس) ٤٪
- حركة تسوميت ٦ر٢٪
- اجودات يسرائيل ٦ر١٪
- الحزب الديني القومي المفدال ٩ر١٪
- حركة كاخ ٦ر١٪

وبالرغم من الفارق في نسبة الاصوات التي حصل عليها حزب العمل والليكود حوالي ٦ ٪ لصالح العمل فانه يمكن القول ان النظرة الشاملة والتقييم العام يظهران فوز تكتل الليكود ان جمع مفردات نتائج الاستطلاع وتحليلها تقود الى استنتاج مؤداه ان الغلبة هي لتكتل الليكود في المحصلة النهائية تظهران تكتل الليكود والقوى المستقطبة من قبله حركة هتحياه ٥ر٤٪ و (تسوفيت) ٦ر٢٪ و (اجودات يسرائيل) ٦ر١٪ والحزب الديني القومي (المفدال) ٩ر١٪ وحركة (كاخ) (التي حظر اشتراكها في الانتخابات والمتوقع ان تذهب اصوات انصارها لصالح هتحياه والليكود) فاز بنسبة ٥ر٤٦٪ من اصوات المشاركين في الاستطلاع مقابل ٥ر٤٤٪ لحزب العمل وانصاره .

وفي الحقيقة فان ثمة احتمالات بان تنضم اصوات اخرى الى معسكر الليكود لم يشملها الاستطلاع مثل حركة (شاس) وكذلك حركة (مورشاه) .

وبناء عليه ولهذه الاسباب فان الليكود زائدا القوى والحركات السائرة في خطه مازالت تحظى بالقدح المعلى في النتائج التي ستخلص استطلاعات الرأى العام التي كثر اجراؤها مع اقتراب موعد الانتخابات على الرغم من ان حزب العمل مازال يتقدم على الليكود اذا ماتم تجريد الاخير من انصاره ومع ذلك فان المؤشرات الاخيرة تظهر احتمال تعادل الحزبين كلما اقترب موعد الانتخابات .

٣) اندماج احزاب صغيرة وظهور اخرى :- من المستجدات التي طرأت خلال الاسابيع الاخيرة على هذا الصعيد هي :-

اولا : اندماج حركة تامي (تقاليد اسرائيل) بزعامة اهرون ابو حصيرة في صفوف الليكود وخوضها الانتخابات كاحدى اضحته ، وكذلك اندماج حركة (اومتس) بزعامة بغتال هورو فيس ضمن تكتل الليكود .

ثانيا : ظهور احزاب صغيرة جديدة اهمها :

(أ) الحزب العربي الديمقراطي الذى يتزعمه عبد الوهاب درواشه الذى انشق عن حزب العمل والذى عقد مؤتمره العام مبدأ ينشط على نطاق واسع لكسب اصوات الناخبين العرب .

ب) حركة (ميماد) تخوض الانتخابات لاول مرة ولا تتوفر عنها معلومات كافية سوى انها فازت بنسبة ٤ر٠ ٪ من اصوات المشاركين في الاستطلاعات .

ج) حزب (يعقوب حداى) وهي حركة جديدة تخوض الانتخابات لاول مرة والتفاصيل عنها قليلة لاتفي بغرض تحليل خطها وتركيبتها .

الخلاصة :-

بعد ان عرضنا بايجاز شديد للتطورات والمستجدات التي طرأت على خارطة القوى السياسية المشاركة في الانتخابات مع اقتراب موعد اجرائها سوف نناقش هنا الاحتمالات المختلفة التي يمكن ان تتمخض عنها انتخابات الكنيست الثانية عشر بادئ ذي بدء نجد ان معسكر اليمين بقيادة تكتل الليكود مازال يحتفظ بقوته ، مما يعزز من احتمال فوزه او تعادله على الاقل مع حزب العمل والاطراف الاخرى المرشحة للدخول في شراكة معه ، بعض المحللين ينظرون الى شطب حركة (كاخ) من قائمة الاحزاب والحركات المشاركة في الانتخابات يعد بمثابة نكسة او ضربة لليمين وتعزيز لحزب العمل وانصارة باذاعة الجيش / برنامج (مباط) نظرة على الاحداث) وقد بنى هؤلاء افتراضهم على اساس ان حركة (كاخ) التي كان من المحتمل ارتفاع عدد مقاعدها من ١ الى ٢ أو ٣ مقاعد كان ظهيرا لقوى اليمين بزعامة الليكود ، وبغياب الحركة يكون الليكود قد خسر هذا الظهير مع مقاعده داخل الكنيست .

لكن معظم المحللين السياسيين يجمعون على ان الاصوات التي كانت ستمنح لحركة (كاخ) لن يفقدها اليمين بل ستظل رصيدا تمنح للقوى الممثلة له مثل حركة (هتحياه) والليكود وهم يذهبون ابعد من ذلك عندما يقولون ان الليكود لم يكن الخاسر من وراء تغيب حركة (كاخ) عن الحملة الانتخابية بدليل انه صوت لصالح قرار عدم السماح للحركة بالمشاركة في الانتخابات وليس من المستبعد في ضوء ذلك ان يعزز هذا الموقف من مركزه وفي ضوء هذا التقييم يبدو الاحتمال الاكثر رجحانا هو :

(١) حدوث تعادل في النتائج التي تحصل عليها القوتان الرئيسيتان حزب العمل والليكود الامر الذي سيضعهما امام خيارين اما تشكيل حكومة وحدة وطنية على غرار حكومة الرأسين شامير بيريس او الاعلان عن اجراء انتخابات جديدة .

(٢) فوز الليكود والمعسكر المتحالف معه باغلبية المقاعد مما يمهد السبيل امامه لتشكيل حكومة ائتلافية ترتكز الى قاعدة برلمانية محدودة .

شخصية طبيعية

تحت المجهر

الدكتور يونتان ماس/ عالم فضاء بارز

تعود شهرة هذا العالم الاسرائيلي الى عدة عوامل ، لعل اظهرها :

- كونه من ابرز علماء الفضاء في الكيان الاسرائيلي ، ودوره في تطوير الابحاث الفضائية التطبيقية ومنها ، تطوير قمر صناعي استطلاعي .
- دوره الخطيرة في تطوير منظومات اسلحة خاصة ومتطورة نال جراء ذلك ، جائزة امن اسرائيل . وقد احجمت المصادر الاسرائيلية عن تحديد نوع وطبيعة هذه المنظومة الا انها وصفتها بانها من المنظومات الرئيسية .
- تحامله على العرب وكرهه لهم وسيطرة الروح الشوفينية على افكاره ومواقفه وتصرفاته ونوازعه الى حد انه يعتبر ابادة العرب امر ضروريا لكونهم متاخرين ومتخلفين عدوانيين . وللتعرف على جوانب شخصية هذا العالم الخفية منها والعلنية ، لابد من سبر غور سيرة حياته منذ البداية .

الولادة والنشأة : ولد يونتان روبين ماس في مدينة برلين بالمانيا سنة ١٩٢٣ . كان والده يمتلك دارا للنشر في المانيا تخصصت في اصدار ونشر الكتب العبرية وذلك منذ عام ١٩١٥ . (١) بداء اهتمام روبين بالنشر باللغة العبرية مع بداية ارتباطه بالنشاط الصهيوني وكانت وسيلة النشر هي افضل وسيلة ارتاها من اجل خدمة الحركة الصهيونية والترويج لافكارها ومنطلقاتها ودعاواها . كانت برلين تعج بالكتاب والادباء اليهود ، جلهم من الالمان ، والبعض الاخر من يهود روسيا الذين لجاءوا الى برلين هربا من الثورة البلشفية في روسيا . وكان من بين هؤلاء ، تشرنيحوفسكي وبيالك ويعقوب كوهين وبينجمان وعتهون . (٢)

والى جانب ذلك فان حماس روبين ماس للحركة الصهيونية واندفاعه الجارف وراء تعاليمها ، لم يكن يقل عن حماسه لخدمتها عبر نشر "ادبياتها" او نتاجات المروجين لافكارها من الادباء والمفكرين اليهود . ومن خلال هذا الجو المشبع بالولاء للصهيونية نستطيع ان ندرك الارضية التي نشاء عليها ، يونتان ، وترعرع منذ ولادته وحتى هجرته مع افراد اسرته وهو في سن الحادية عشرة

كان يونتان متأثرا الى ابعد الحدود بافكار والده وآرائه خصوصا ، وان البيت الذى ولد فيه ونشأ كان اشبه بخلية للنشاط الصهيوني . لقد تربى في هذا الجو حيث كان يسمع مايدور من احاديث ونقاشات ومناظرات بين الكتاب اليهود الذين ركزوا في كتاباتهم (٣) على "الوطن القومي" وعلى التحرر من الانحياز "الجو يسم" والعودة الى ارض صهيون . وكان من الطبيعي ، والحالة هذه ان يقتنع بتلك الافكار اقتناعا كاملا ، ويتأثر بتلك المواقف والاحاديث وتسيطر عليه . وملخص القول ان يونتان الابن وكما تشير المصادر الاسرائيلية الى ذلك ـ بداء بكرة المنفى ، وبداء الحب للغة العبرية والصلة النفسية مع ارض اسرائيل يتعمق ويترسخ منذ ذلك الوقت . (٤)

دراسته : وليس من المستغرب ، في ضوء هذه الخلفية ان يحرص الاب والابن ، على ان تكون المدرسة اليهودية ذات الصبغة الصهيونية بالاسم والمناهج ، والكادر التدريسي هي المكان الذى يرتاده يونتان ليتلقى تعليمه الابتدائي مع بلوغه سن السادسة من العمر . انهى يونتان دراسته الابتدائية في المانيا قبل ان يهاجر مع والديه وشقيقيه (داني) الى فلسطين عام ١٩٣٤ ويستقر بمدينة القدس . وبعد وصوله الى فلسطين التحق بمدرسة (رحافيا) التي كانت تعتبر من المدارس النموذجية التي لا يؤمها سوى ابناء الاسر الموسرة والمتنفذة . وفي عام ١٩٤٠ وعندما بلغ سن السابعة عشرة تقدم لامتحانات شهادة الثانوية فنجح وحصل على تقدير عال . (٥)

تعليمه الجامعي : بعد نيله شهادة الثانوية العامة "البيجروت" تقدم باوراقه الى كلية الهندسة التطبيقية في (حيفا) وهو معهد تكنولوجي انشأته الحركة الصهونية لتخريج الكوادر العلمية التي يحتاجها المشروع الاستيطاني الصهيوني . وقبل في الكلية ، ولكنه عند نشوب الحرب العالمية الثانية تقدم للتطوع في الجيش النظامي لمقاتلة الالمان . كان يونتان يجند للخدمة في سلاح الجو الملكي البريطاني وعلى هذا الاساس قدم طلبا بذلك الى قيادة السلاح الجوى في فلسطين . ولما كانت الخدمة في هذا السلاح المتميز قاصرة على الانجليز بالولادة دون غيرهم فقد ابلغ ان بوسعه ان يخدم في قوات الاسناد الارضي التابعة للسلاح الجوى ، وعلى الرغم من انخراطه في الخدمة في الجيش البريطاني فان يونتان استمر في تحصيله العلمي الجامعي حيث درس هندسة اللاسلكي والاتصال . في سنة ١٩٤٣ تخرج من كلية الهندسة في التاخيون وبعد ذلك تطوع في صفوف اللواء اليهودى الذى كان يعمل في اطار القوات البريطانية . (٦)

نشاطه الصهيوني : بعد تطوعه ارسل الى الجبهة الايطالية ليعمل كفني لاسلكي . وفي عام ١٩٤٥ وعندما انتهت الحرب باستسلام المانيا ، كانت وحدته ترابط في هولندا . واستغل يونتان وجوده هناك لينشط لصالح المشروع الصهيوني . وتذكر المصادر الصهيونية ان يونتان ومعه بقية افراد اللواء اليهودى قاموا بتشكيل حركة شبيبة يهودية في روتيردام . وكانت الغاية تعليم اللغة العبرية واعداد الشبان اليهود للهجرة الى فلسطين . (٧)

خدمته العسكرية : بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد يونتان الى فلسطين ، وعين مهندسا في احدى محطات الاتصال في مطار اللد . وقد ساهم بدور كبير في السيطرة على هذه المحطات وعلى محطات ارسال اخرى ، عشية انسحاب القوات البريطانية من فلسطين بل وفي تفكيك وسرقة اجهزتها ووضعها تحت تصرف منظمة الهاجانا العسكرية الصهيونية وقد استخدمت هذه الاجهزة في اقامة شبكة اتصال بين القواعد الجوية التي وقعت تحت سيطرة المنظمات العسكرية اليهودية عام ١٩٤١ (٨)

وبعد انشاء مايسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي جند (يونتان) للخدمة في السلاح الجوى ، حيث ساهم بدور كبير في تركيب معدات الاتصال في قاعدة لسلاح الجو الصهيوني انشأ حديثا في النقب .

وقد حصل على ترقية ملازم ثاني وبسبب كفاءته العلمية التي برزت من خلال تطوير واصلاح اجهزة ومعدات الاتصال والمخابرة انتدب للعمل في سلاح العلم (حماد) الذى انيطت به مهمة تطوير وسائل قتالية ومنظومات اسلحة. وظل يعمل كباحث علمي حتى قيام الكيان الاسرائيلي بشن حملة سيناء عام ١٩٥٦ ضد مصر بالتواطوء مع فرنسا وبريطانيا. وشارك في الحرب وهو بدرجة رائد اما عمله فلقد تركز على انتاج انواع عديدة من الالغام ووسائل علمية مختلفة لاستخدامها في الحرب (٩) . ولم تكشف المصادر الاسرائيلية التي تحدثت عن مساهماته العلمية المسخرة للمجهود الحربي العدواني عن طبيعة تلك الوسائل مكتفية بابراز اهميتها وحيويتها فقط .

دراساته العليا : ـ لم ينقطع يونتان اثناء عمله في سلاح العلم (حماد) عن دراسته حيث تقدم للدراسات العليا في التاخيون ليتخصص هذه المرة في فيزياء الجو وقد نال شهادة الماجستير في العلوم بتقدير (امتياز) وكان من ابرز اساتذته البروفسور اولندروف وهو ابرز عالم في الهندسة الالكترونية الصهاينة في ذلك الوقت .

وفي سنة ١٩٦١ ارسل للدراسة في فرنسا لنيل شهادة الدكتوراه والتحق بجامعة السوربون ليدرس مادة فيزياء الجو ايضا وبعد ثلاث سنوات اى عام ١٩٦٣ عاد الى فلسطين المحتلة حيث بدأ يركز ابحاثه العلمية على الفضاء واختير عضوا في اللجنة الوطنية لابحاث الفضاء التابعة لاكاديمية العلوم (١٠) .

اسهاماته في مجال البحث والتطوير العسكريين : ـ تعزو المصادر الاسرائيلية الى هذا العالم الكثير من الاسهامات سواء على صعيد البحث والتطوير العسكريين او على صعيد الابحاث الاخرى المتعلقة بابحاث الفضاء. وتقول في هذا الصدد ان (يونتان ماس) اسهم بدور كبير لتعزيز وترسيخ امن اسرائيل والجيش الاسرائيلي وانه يرى في هذا الدور مهمته الوحيدة في الحياة . ويقول عنه (يشعياهو لفي) مدير سلطة تطوير وسائل القتال "رفائيل" في مؤتمر لمهندسي الالكترونيات عقد عام ١٩٨١ ان (يونتان ماس) هو احد الادمغة النادرة التي وُهب بها الشعب اليهودى (١١) .

وكما سبقت الاشارة فان المصادر الاسرائيلية ذكرت ان (يونتان) طور العديد من الاسلحة الخفيفة كالالغام ووسائل قتال اخرى وكذلك اجهزة الاتصال واجهزة الكترونية. ولا يقف حديث تلك المصادر عن اسهاماته ودوره عند هذا الحد فهي لا تتورع عن الاشارة الى دوره في تطوير منظومة اسلحة تعتبر من اكثر المنظومات تطورا دون الخوض في التفاصيل مكتفية بالقول والحليم تكفيه الاشارة. ويفضل دوره هذا منح يونتان جائزة امن اسرائيل التي لا تمنح الا للعلماء الذين طوروا منظومات قتالية غير عادية (١٢) .

ويتحدث (يونتان) عن اهمية دوره هذا مع بقية العلماء المجندين في خدمة المؤسسة العسكرية

الاسرائيلية فيقول " ان المعنويات والخبرة العلمية اذ كانتا مترابطتين فهما من العوامل الرئيسية والحاسمة التي ستحدد نتائج الحروب مستقبلا ويضيف " لقد تقدمنا بشكل هائل منذ اواخر السبعينات في الخبرة التكنولوجية بشكل يثير الاعجاب لدى الاصدقاء والخوف والهلع في صفوف الاعداء ".

واضاف ان اسرائيل قادرة من ناحية تكنولوجية على انتاج كل شيء جديد موجود في العالم اذا ماتوفرت لها الامكانيات المادية وخاصة في مجال الصناعات العسكرية (١٣).

وهناك اسهامات علمية اخرى لهذا العالم الصهيوني في مجال ابحاث الفضاء فلقد تولى ادارة محطة استقبال الاقمار الصناعية التي اقامتها الولايات المتحدة في منطقة ماتسبي ريمون وفي نطاق هذه المحطة بدأ هذا العالم ومعه عدد اخر من علماء الفضاء اجراء ابحاث حول الفضاء مستعينا بالمحطة وماتحتويه من مختبرات واجهزة ومعدات متطورة .

وبسبب مكانته العلمية اختير ليمثل الكيان الاسرائيلي في المؤتمرات الدولية التي تعنى بابحاث الفضاء وكذلك كحلقة اتصال مع وكالات ومراكز ابحاث الفضاء في الولايات المتحدة توفرنسا.وقد شارك في حلقة دراسية نظمها حلف شمال الاطلسي عام ١٩٧٦ في ايطاليا حيث القى محاضرة عن فيزياء طبقات الجو كما قام بجولات في مراكز اطلاق الاقمار والمركبات الفضائية الامريكية واقام علاقات مع العلماء العاملين في وكالة الفضاء الامريكية (١٤).

ولعل هذه الجولات والعلاقات قد ساعدت الى حد كبير في تعميق خبرة هذا العالم الصهيوني في مجال ابحاث الفضاء الامر الذى ساعده على القيام بدور كبير في تطوير وانتاج القمر الصناعي الاسرائيلي (اوفيك) افق الذى اطلقه الكيان الاسرائيلي في شهر ايلول ١٩٨٨ (١٥) فهو يعد من ابرز الباحثين في وكالة الفضاء الاسرائيلية .

افكاره :- اما بصدد افكار هذا العالم الصهيوني والتي عبر عنها في مناسبات عديدة فيمكن وصفها بانها افكار شوفينية عدوانية تستمد جذورها من خلفية النشأة والتكوين والتربية في مرحلة الطفولة ومعهد الهجرة .

ولتأكيد صدق هذا الاستنتاج يكفي ان نسوق ماجاء على لسانه "ان مبدأ المبادئ عندى هو امن اسرائيل، من يهم بالعدوان علينا/ أن نبادر الى ابادته.لن يتردد بعد الان المثل القائل عليّ وعلى اعدائي يارب بل على اعدائي وحدهم".

لاتنازل عن شبر واحد من الارض يتم الاستيلاء عليه طالما انه يخدم مستلزمات الامن (١٦). ولاريب ان هذه الامثلة اليسيرة على الافكار التي يعتنقها هذا العالم وترديدها في المؤتمرات العلمية وتأكيده بأن مهمته الوحيدة هي صنع ادوات القتل والدمار لاستخدامها في ضرب العرب تعكس روح العداء والحقد وكذلك التفاخر والتعالي والنظر الى العرب على انهم من الضعة والدونية بحيث يستحقون الفناء (١٧) انها افكار تجسد الروح العسكرية والتفوق وتشجع روح المغامرة واهداف التوسع في الاراضي العربية بدعوى حماية امن اسرائيل وتوفير متطلبات هذا الامن.

عاداته :- هذا العالم وعلى الرغم مما بلغه من مستوى علمي يتمسك بالشعائر الدينية فهو يؤم الكنيس كل يوم سبت لاداء الصلاة ويتناول الاطعمة "الحلال" (الكاشير) ولايغادر منزله في ايام السبت والاعياد الا اذا اقتضت ذلك متطلبات الامن اى اذا استدعي في مهمة ملحة.يقضي الجزء الاكبر من وقت فراغه في البحث حتى داخل منزله او مطالعة الكتب او المجلات والدوريات التي تعنى بالشؤون العلمية وخاصة الفضاء ويخرج مع افراد اسرته للنزهة.

هواياته :- من اهم هواياته المطالعة وخاصة الادب ومشاهدة الافلام السينمائية والمسرح .

حالته الاجتماعية :- البروفسور يونتان ماس متزوج من يهودية هولندية هي (انا فرانك) تعرف بها اثناء وجوده في روتيردام حيث نظمها في حركة للشبيبة اليهودية في هولندا وقد رافقته بعد عودته الى فلسطين في اعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية وقد رزق منها بثلاثة ابناء اكبرهم دينانيك الذى حصل على شهادة الماجستير والدكتوراه من الجامعة العبرية في القدس ويوسف الطالب في التاخيون في حيفا وابنته (يعال) الارملة التي لقي زوجها مصرعه اثناء الهجوم على بلدة الكرامة عام ١٩٦٨.تقيم اسرة يونتان في مدينة حيفا وتسكن في حي هدار هكرميل حيث مقر مركز ابحاث الفضاء وكلية الهندسة التطبيقية (التاخيون) (١٨).

المصـــــــدر :-

١) ايزيك رميا / العلماء الشبان في اسرائيل /دار نشر (ماس) القدس ١٩٧٧ ص١٧٨-١٨٠
٢) نفس المرجع /ص١٨١
٣) نفس المرجع ص ١٨١
٤) نفس المرجع ص١٧٩
٥) موسوعة الشخصيات الاسرائيلية /دار نشر (رأياه) القدس ٧٨ ١ ص٧٧٨ .
٦) نفس المرجع ص٧٧٨
٧) ايزيك رميا / مرجع سبق ذكره ص١٨٠ -١٨٢
٨) نفس المرجع ص١٨١
٩) موسوعة الشخصيات مرجع سابق ص٧٧٨
١٠) نفس المرجع ص١٧٨
١١) م- مريد ور / سلطة تطوير وسائل القتال دار نشر (معرخوت) وزارة الدفاع (الاسرائيلية) ١٩٨٢ القدس ص ٢٥
١٢) ايزيك رميا / مرجع سبق ذكره ص ١٨٠-١٨٣
١٣) نفس المرجع ص ١٨١-١٨٢
١٤) م- مريد ور / مرجع سبق ذكره ص ١٥٠-١٥٢
١٥) مجلة دراسات عدد ١٣ ايلول ١٩٨٨ /الدار العربية للنشر والترجمة القاهرة مصر
١٦) ايزيك رميا : ص ١٨١
د م. مريد ور ص١٥٣
١٧) نفس المرجع
١٨) نفس المرجع